الملحق الثقافي

ملحق أسبوعي يصدر كل ثلاثاء عن جريدة الثورة - العدد 1104 2022/7/26

مازن المبارك: المستقبل للغة العربية

أول الكلام

عن اللغة وقدسيتها

▪ ديب علي حسن

اللغة وعاء الفكر الخلاق، ومن لا يتقن لغته لا يستقيم فكره من هنا سعت الأمم الحية إلى احترام لغاتها والعمل على صونها وحمايتها ووضعت التشريعات التي تضمن ذلك، ففي فرنسا صدرت قوانين تعاقب من يخطىء باللغة بل لا يمكن أن يرتقي بوظيفته.

واللافت أن الأمة العربية التي حباها الله بأجمل اللغات وأعذبها هي اليوم في واد ولغتها بواد آخر، وعلى العكس مما عمل عليه أجدادنا من حماية اللغة والارتقاء بها.

وكم كان صادقاً ذلك المستشرق الذي قال ذات يوم: لم أر أجمل من اللغة العربية ولكني أيضاً لم أر قوماً يعملون على وأد لغتهم كما العرب.

نعم، هي كما يقول المستشرق الألماني فريتاج: اللغة العربية أغنى لغات العالم.

واليوم ما حال لغتنا كيف تبدو ما هي عليه؟؟؟؟؟

في ندوة عن واقع الكتاب في سورية كان لافتاً ما قاله الدكتور محمد الحوراني رئيس اتحاد الكتاب العرب حين تحدث عن اللغة العربية وأشار إلى أن الكثيرين ممن يدعون الإبداع لا يعرفون ألف باء اللغة العربية فكيف نعمل على نشر كتاب مملوء بالأخطاء اللغوية؟؟؟؟

هذا خط أحمر بل من الكبائر التي يجب ألا تمر.

كيف يكتبون وهم لا يعرفون لغتهم؟؟؟؟

لغتنا ليست بخير، وإن كنا غير متشائمين لكنا لسنا متفائلين أبداً لا نريد علماء لغة يغوصون وراء أسرارها إنما نريد أن نكون قادرين على الكتابة والتفكير بلغة أقل ما يقال عنها إنها ليست هجيناً لا أحد يدري كيف حدث ذلك إلى أين سيقودنا....

من هنا ندعو للمشاركة بملف حول اللغة العربية في عصر مواقع التواصل الاجتماعي، ما لها وما عليها..

عبد الله السيد في رحاب الخالدين

رواية مابعد القيامة

الصفر أخصب فكرة بشرية

يوسف العظمة في وجدان أمير الشعراء

رئيس التحرير
أحمد حمادة

مدير التحرير
معد عيسى

إشراف
ديب علي حسن

الإخـــراج
هدى نصر شمالي

توجه جميع الرسائل
باسم هيئة التحرير
دمشـــق ص.ب ٢٤٤٨
هاتف ٢١٩٣٢٢٢

كتاب العدد
حسب الترتيب الهجائي

دلال ابراهيم
رياض طبرة
سلام الفاضل
شهناز فاكوش
غسان كامل ونوس
فاتن دعبول
مها محفوض محمد

رحيل

عبدالله السيد في رحاب الخلود

يشكل رحيل المبدعين خسارة كبيرة لا تعادلها خسارة أبداً لكنها الحياة هكذا وكما يقال أحبب من شئت فأنت مفارقه لكن أثره وإرثه الفكري والفني هو الذي يبقى خالداً

الدكتور عبد الله السيد النحات والمبدع السوري يلحق بركب الراحلين ولكن آثاره الإبداعية باقية خالدة

هناك قرب قلعة دمشق ينتصب تمثال صلاح الدين الأيوبي وهو الذي غدا من معالم دمشق

وكانت وزارة الثقافة قد نعته عن عمر يناهز ٨٢ عاماً

محطات

النحّات د. عبد الله السيد

١٩٤١ – ولد في مدينة مصياف.

١٩٧١ – تخرج في كلية الفنون الجميلة بدمشق / قسم النحت.

١٩٦٥ – درس في كلية الآداب –قسم الفلسفة والدراسات الاجتماعية – جامعة دمشق.

١٩٧٧ – دبلوم الدراسات المعمقة بعلم الجمال D.E.A – باريس. فرنسا.

١٩٨٠ – دبلوم عال (معادل للدكتوراه) في النحت النصبي من المدرسة الوطنية العليا للفنون الجميلة – باريس. فرنسا.

عمل أستاذاً في كلية الفنون الجميلة / رئيس لقسم النحت/ باحث جمالي في الفنون السورية / أستاذ علم الجمال والنقد للدراسات العليا / عضو في لجان التحكيم والإشراف على المهرجانات الفنية والنصب التذكارية / عضو في المجلس التنفيذي لنقابة الفنون الجميلة / رئيس تحرير مجلة الحياة التشكيلية / عضو في لجنة الفنون في المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية / له العديد من الأبحاث المنشورة في الدوريات الفكرية والفنية عن الفن التشكيلي السوري وعلم الجمال وتاريخ الفن.

نفذ الكثير من النصب التذكارية والتماثيل في العديد من المدن السورية، أشهرها نصب صلاح الدين الأيوبي في مدينة دمشق ١٩٩٢/ نصب الشهداء بدرعا ١٩٩٠ / نصب العيد الفضي بدرعا ١٩٩٥ / نفذ نصب سفينة نوح الدمشقي في مدينة دالاس. الولايات المتحدة الأميركية عام ٢٠٠١.

معارض مشتركة:

١٩٩٨– الملتقى الدولي للنحت في اللاذقية – منحوتة (شرخ المحبة).

– ملتقى النحت الثالث في محافظة دمشق – منحوتة (سفينة نوح الدمشقي رقم ١).

٢٠٠١– ملتقى للفنانين الدوليين – أميركا (سفينة نوح الدمشقي رقم ٢).

٢٠٠٢– ملتقى أساتذة النحت – جامعة دمشق (منحوتة راهوم جنين).

٢٠٠٢– ملتقى إهدن للتصوير والنحت – لبنان (لوحة جدارية سفارة أوروب).

٢٠٠٣– ملتقى مدينة المعارض بدمشق (منحوتة الطوفان).

٢٠٠٤– ملتقى أساتذة النحت في جامعة دمشق (لوحتان جداريتان: حيرة وسفارة أوروبا)

الجوائز:

– الجائزة الأولى لمسابقة نصب الشاعر أبي تمام – بجاسم (محافظة درعا).

– الجائزة الأولى لمسابقة نصب الشهداء بدرعا.

– الجائزة الثانية (الأولى حجبت) لمسابقة صلاح الدين الأيوبي بدمشق.

– الجائزة الكبرى لبينالي المحبة في اللاذقية عام ٢٠٠١.

وغيرها من الجوائز.

اللغة والتجديد والمؤسّسات المختصّة

غسان كامل ونوس

ليست أهمّيّة اللغة العربيّة مدار نقاش، ولا ضرورة الاهتمام بها والغيرة عليها مثار تساؤل؛ وهذا لا يتّصل بالمناهج المقرّرة، ولا بالمهنة، التي تتطلّب إتقاناً وخبرة وممارسة مستمرّة أو متقطّعة، ولا بالمناسبات اللغويّة الدوريّة أو الحوليّة، المحلّيّة أو القوميّة أو العالميّة، ولا بالباحثين في شؤون اللغة، ولا بالأدباء المبدعين في فنون الكتابة المتنوّعة؛ مع أهمّيّة كلّ منهم بمقدار جهده ورغبته ومسؤوليّته... فحسب؛ بل هو الحرص على عنصر مهمّ من العناصر، التي تدعم الروابط والصلات بين الماضي؛ بكلّ ما يحْمِلُهُ ويُحَمّلُهُ، ويتطلّب البحثَ والتنقيةَ، وبين أبناء الأمّة على امتداد الحاضر والمستقبل؛ وتعزّزُ الانتماء القوميّ والوطنيّ، هذا الذي يتعرّض لمحاولات الهتك والتخريب باطّراد؛ وتُكامِلُ الشخصيّة، التي تتغنّى باللغة، وتتنعّم بها، وتتبادل مختلف المعارف والمعلومات والأخبار والمسموعات والنوادر والطرائف والحكايات والحكم والتجارب والأمثال والأقوال والأحاديث والآيات والأسفار؛ ولا سيّما منها ما تمّت صياغته شعراً أو نثراً معتزّا بهما.

وكما هي الحال في أيّ عنصر ربط أو وسيلة تواشج، فإنّ التعامل المتواصل باللغة بمختلف أشكاله، والتداول بمفرداتها المتعدّدة، والتعبير بصياغاتها المتنوّعة، وترديد مصطلحاتها؛ ومن الضروريّ أن يكون كلّ ذلك صحيح النبرة والكتابة والتحريك والتسكين والتشديد... كلّ هذا سيقوّيّ هذه اللغة، ويسهم في حفظها وصونها. لكنّ ما ينمّيها؛ هي الغنيّة بكنوزها المقدّسة والموروثة، وما يزيد في غناها، تجدّدُها المفروض منطقيّاً وعلوماً ومخترعات واكتشافات، وتعدّد مصادر ذلك، وتعرّضها للمنافسة المشروعة والظالمة، الطبيعيّة والمهنيّة.

وليست الحاجة إلى الاستعمال وحدها هي الحاكمة في قضيّة التجديد والتجدّد؛ مع حضور ما لم يكن موجوداً أو معروفاً لدى أبنائها؛ ولا سيّما بعد ازدياد التواصل مع الخارج، بكلّ أنواع هذا التواصل، العلميّة والتجاريّة، وازدياد التفكير والانشغال بكثير من الجوانب والمجالات؛ بل إن هناك ضرورة بنيويّة، وعوامل ذاتيّة في اللغة والناطقين بها، تستوجب مثل هذا وذاك، ومن الطبيعيّ أن يكون التجدّد الذاتيّ صدى لنتاج داخليّ في البيئة الناطقة باللغة، أو في المشتغلين بها، أو منقول من لغات أخرى، باختصاصات، ودراسات متوسّطة أو عليا ممنهجة ومطلوبة ومرغوبة.

وللأسف لا تملك البيئة العربية كثيراً من الاختراعات والاكتشافات المادّية والمعرفيّة، الملموسة والافتراضيّة؛ بينما تحتشد بيئات أخرى بمثل هذا النتاج، وتنشغل بأفكار وأبحاث وتجارب... وليس هناك من مجال عصيّ أو ممنوع، في مختلف الشؤون والاهتمامات؛ فيما يكاد يقتصر اهتمامنا بالبحوث القوليّة أو اللغويّة!

ولمّا كان بعض أبنائنا يعملون في تلك البيئات، ويخوضون في مفاهيم ونظريّات، ويتداولون تعابير ومصطلحات، وقد يكون لهم باع فيها، لكن للأسف يتمّ ذلك بلغات أخرى، ونحتاج إليها لدى استيراد مسمّياتها ومفهوماتها، واستعمال الأدوات والوسائل لزوم العمل والاستثمار والاستهلاك.

فلا بدّ؛ نتيجة ازدياد الألفاظ والكلمات والتسميات والألقاب الغريبة، من تعريبها أو استخدام بدائل منها، وهذا ليس ترفاً أو نافلاً؛ بل هو حاجة وسبيل إلى يُسر التواصل والتعامل، وحفاظ على اللغة من النسيان، وتجديد لها، وتمكين لمواجهة مستجدّات العصر الحديث المتلاحقة والمتداخلة والمتشظّية؛ والمحاولات المغرضة لتشويه اللسان، ومن ثمّ الشخصيّة، وللتعمية وتكريس التبعيّة والاستسلام لما هو وارد غزواً أو مسايرة.

فلا بدّ، إذاً، من البحث والتفكير في آليّات القيام بالتطوير والتجديد والتعريب، والجهات التي تقوم بها. وإذا ما كان للجامعات والمعاهد الرسميّة والخاصّة عمل كبير فيه، فإنّ للجهود الذاتيّة، التي قد يبادر بها بعض الأشخاص الغيورين والجادّين.. مكان أيضاً؛ مع أنّ ذلك يبقى محدوداً؛ في ظلّ الكمّ الكبير من الموارد والمصادر والمستجدّات البشريّة والماديّة.. وهناك مؤسّسات يفترض أن تكون متخصّصة في هذا الأمر، نسمع بذكرها، ونقرأ عنها أحياناً ليست كثيرة؛ هي «مجامع اللغة العربيّة»، التي تنتشر في بعض العواصم والحواضر العربيّة، كمجمع اللغة العربيّة في دمشق، والآخر في القاهرة، والثالث في بغداد وسواها. لكنّ عملها للأسف، يبقى بعيداً عن الإعلام والإعلان، وقليلاً ما يؤتى على ذكر ما تمّ تعريبه، وما تمّت إجازة استخدامه من الكلمات العامّيّة والأخطاء الشائعة، التي تتردّد حتّى على ألسنة المختصّين، من دون تأكيد أو توثيق. وغنيّ عن القول إنّ استمرار ممارسة اللغة شفويّاً وكتابيّاً، يسهم في بقائها حيّة، ولا بدّ من قوننة بعض الألفاظ والتسميات قيد التداول، حتّى تأخذ مشروعيّتها من مثل هذه المؤسّسات المتخصّصة.

ولعلّ عملنا في قطاعات ثقافيّة، جعلنا نتعرّف إلى بعض العاملين في مجمع لغويّ، وبعض نتاجاته أو قراراته، ولكن بطرق شخصيّة ومحدودة جدّاً؛ فيما تتّسم الإشارة إليها بكلّ أسف بشيء من السخرية، مع ترديد بعض ما قيل إنّها أبدعته: «الشاطر والمشطور والكامخ بينهما»!؛ تعريباً لـ«سندويشة»؛ كما يُزعَم! ولن تجد من يؤكّد هذا الأمر وسواه، أو يسوّغه، ويسوّقه.

وإذا ما حاولنا البحث، وقد حاول بعضنا من المهتمّين باللغة، العاشقين لها، المبحرين في محيطاتها، فإنّ المحصّلة تبدو ضئيلة، ومشتّتة، وغير يقينيّة؛ والسبب في هذا عدم وجود نشرات دوريّة، أو مجلّات متخصّصة، تُعنى بهذا الجانب المحدّد والمهمّ والمتّصل؛ حسب علمنا، أو عدم حضورها بين أيدينا وقت الحاجة إليها، وما من أخبار عن الاجتماعات الدوريّة والعارضة لهذه المجامع، ولا عن الخطوات المتّخذة في هذا الشأن اللغويّ أو ذاك، وما نتج أو ينتج عنها من كلمات مُجَدْوَلَة ومقترنة بأخرى، تمّ استبدالها، أو تثبيتها في سلامة النطق والاستعمال الفصيح، من قبل هذا المجمع اللغويّ أو ذاك؛ فلماذا لا يحدث مثل هذا؟! ولماذا لا يطالَب به ممّن هم مسؤولون فيه وعنه، ولا نشكّ أو نشكّك في قدراتهم ولا في نواياهم؟! وإن كان موجوداً ولا نسمع به؛ فتلك مشكلة كبيرة؛ أمّا إن كان غير موجود أصلاً، فالمصيبة أمرّ وأدهى! فبأيّ إيقاع يسير العمل؟! وبإشراف من، وبمشاركة من؟! وكيف يمكن أن يماشي التسارعَ المطّرد في مختلف العلوم والمعارف؟!

ومتى يمكن القول بيقين: إنّ اللغة العربيّة تتجدّد، بما يدخل إليها من مشتقّات وأسماء ومصطلحات خاصّة بها، وسلسة وسهلة التداول والنطق والكتابة؟! ومن المسؤول عن كلّ ذلك التعتيم والضبابيّة والفوضى؟!

في الحقيقة، هذا الأمر يُشكِلُ عليّ؛ هل هي مؤسّسات خاصّة أو عامة؟! ومن هي الجهة التابعة لها؟! ومن أين يأتي التقصير في انتشارها؟! وهل هو قصور أم تقصير؟! ذاتيّ شخصيّ أو عام؟! ولماذا لا يعرض اسم أيّ مجمع، إلّا في التعريف بسيرة عضو متوفّى؟! وغالبيّة الأعضاء في أعمار متقدّمة؛ أطالها الله!

القضيّة المثارة هنا ليست آنيّة، ولا طارئة، وقد بذلت شخصيّاً مجهوداً؛ حين كنت مسؤولاً في مؤسّسة ثقافيّة، ودوريّة أدبيّة؛ ومع بعض أعضاء المجمع، وبعد لأي، تمخّض الجهد والوقت والأمل عن مقال يتيم عام في تلك الدوريّة! فالمسألة متّصلة، وملحّة، وضروريّة، وتتزايد أهمّيّتها والحاجة إليها، مع تزايد مراكز الأبحاث والاختصاصات والمختصّين.. هذا الذي يتضاعف مع مرور الوقت، الذي لا يرحم!

فإذا كنّا لا ننتج، فلماذا لا نعبّر بلغتنا عمّا يُنتَج؟!

ولماذا لا يكون لنا ما نطلقه على تلك الاختراعات والاكتشافات والنظريّات؟! تلك التي يتغنّى أصحابها في إطلاقها على أهمّ رموزهم القديمة والحديثة، الأصليّة أو المدّعاة؟!

فيما نتعثّر نحن في التسمية، التي تصاحب المسمّى الذي نتفاخر به؛ كما نتعثّر في استعماله! ولا ننسى أنّ هناك من يدعو إلى الإبقاء على ما يأتي؛ كما يأتي! ليس احتراماً للمنشئين المكتشفين المنتجين؛ بل إدمان في التشويه والتقزيم والاستسلام للتبعيّة، التي لا تقتصر أشكالها على السياسة، وتزداد خطورة بأبعادها الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة؛ وهي أخطرها!

رواية النهاية في أدب ما بعد القيامة

ترجمة بتصرف للكاتب والناقد الأميركي تشاد هارباش

دلال ابراهيم

مما لا شك فيه أن المستقبل والماضي يتشابهان بصورة غريبة في أدب ما بات يعرف اليوم باسم (أدب ما بعد القيامة) كما لو أنه محكوم على الإنسانية العودة إلى العهد ما قبل الصناعي. وقد بدأ ظهور هذا النوع من الأدب مع رواية (الرجل الأخير) للكاتبة ماري شيلي، والصادرة في عام (١٨٢٦) تسرد الرواية هلاك أعداد هائلة من البشرية بسبب مرض الطاعون، الأمر الذي تسبب في نشوب حرب دائمة. وهكذا بقي الوباء هو العنصر المسبب للهلاك في خيال ما بعد القيامة لغاية اختراع القنبلة الذرية. ولكن وخلال الفترة الممتدة ما بين اختراع الآلة البخارية عام ١٧٨٤ وبداية الحرب الباردة، لم تكن الرؤى المخيمة على عالم الخيال العلمي هي رؤى عن نهاية العالم، وإنما هي رؤى- حسبما ورد في رواية (نحن الآخرون- الأفضل في العالم) تصف حضارات تكنولوجية تتطور نحو نظام تحكم اجتماعي مطلق. ومع إلقاء القنبلة الذرية فوق مدينة هيروشيما، عادت من جديد لتحيا تلك الفكرة التي تتحدث عن مستقبل معدم ووحشي. هذا وترتكز معظم روايات الخيال العلمي على تخيل شكل من الحاضر المستفحل، وذلك من خلال الجمع بين مختلف التقنيات الموجودة والاستقراء من خلالهم، لكي يشيروا عبر ذلك إلى الآثار البسيكولوجية والسياسية لهذا الحاضر. بينما نحت رواية ما بعد القيامة على نحو مخالف كلياً عن ذلك. لتعمل على تحرير العنف الكامن داخل هذه التكنولوجيا، وفتح احتمالات اساءة استخدامها (وعدوها الطبيعة) بغية خلق عالم متغير، ميزته الاساسية هي عدم القلق من التكنولوجيا. وما على البشرية المجبولة بالألم والبربرية سوى اللحاق بركب تلك التكنولوجيا.

ويتسائل تشاد هارباش الكاتب والناقد الأميركي قائلاً :» ماذا سيحدث لو لم نكن نعيش في عالم مكتظ بالسكان ومشبع للتخمة بالتكنولوجيا، وحيث التنقل بالمشي يعتبر أمراً غريباً وشاذاً، وحيث أن الدولة هي الوحيدة المخولة استخدام العنف؟»

لفترة بعيدة كان هذا العالم مجهولاً بالنسبة للأميركيين والأوروبيين. كانوا في القرن التاسع عشر يعيشون في ظل عصر ما قبل البترول، وكانوا ينتمون إلى التاريخ، كما صار ينتمي إليه إنسان القرن العشرين، مع حصوله على النفط بأسعار رخيصة وقدرته على التنبؤ المناخي. والآن وقد استنفذنا ما يقرب من نصف احتياطي النفط الموجود، ولم يؤثر هذا على توازن الكوكب، ولكن يخشى أن يكون مستقبلنا مثل ماضينا، لا بترول فيه ولا تقانة تقريباً، وحتى ولا الكثير من الضمانات الاجتماعية المفيدة لنا. وبالتالي يخشى أن تصبح الرواية التي تدور حول المستقبل الكارثي البديل عن الرواية التاريخية.

في عام ٢٠٠٧ صدرت رواية Jamestown للكاتب ماتيو شارب. وتنطلق الرواية من بداية سردها للأحداث من صورة رجال مدججين بالسلاح يغادرون مانهاتن بواسطة حافلة في أعقاب انهيار بناء كريسلر وخوض حرب مع حي بروكلين، بهدف السيطرة على المصادر الطبيعية ، والتي فقدها الطرفان على حد سواء. فيما خلفت الحرب والانهيار البيئي، خارج حدود المدينة، عالماً مفككاً وقد أبيد نصفه. وينطلق هؤلاء الرجال في حملة بحث ضالة عن الوقود، لتنتهي بهم ضالتهم إلى فيرجينيا، إلى مستعمرة غريبة، تسكنها قبيلة هندية شرسة من (الهنود) تعيش في ظل نوع من الرفاهية ، ويبدو عليها أنها متعددة الاثنيات والأعراق، وقد تبنت هذه القبيلة العادات الأميركية- الهندية، بغية المحافظة على بقائها واستمراريتها. والشخص الأكثر شعبية وجاذبية في هذه القبيلة هي فتاة اسمها (يوكاهوتناس) أما زعيم أفراد مانهاتن فكان يدعى جون سميث، أي هنا المستقبل هو الماضي.

وينطلق الكتاب من خلال مبدأ مساواة الماضي مع المستقبل، دون الخروج من الحاضر. ومن العبث قراءة رواية Jamestown بغية معرفة كيف سيكون شكل غدنا، أو كيف كان شكل المستعمرة في عام ١٦٠٧ وكذلك من العبث البحث فيها عن أي حدس عن هذا المستقبل. أي على نقيض رواية (ضجيج الخلف) للكاتب دون ديليلو (١٩٨٥) ورواية (الأسماء عام ١٩٨٢) اللتان تبدوان كما لو كانت هواجس لاعتداءات ١١ ايلول. ومع ذلك فإن رواية Jamestown كانت صادقة في الاعتراف باستحالة انجاز المهمة الموكلة إليها: أي وصف مستقبل لن نعرف كنهه إلا بعد العيش فيه.

في الواقع إن الكاتب الوحيد الذي أخذ على عاتقه مهمة كتابة سيناريو غدنا الكارثي، هو الكاتب جيمس هوارد كنستلر، الذي كتب سبع روايات أشهرها رواية (نهاية البترول، التحدي الحقيقي للقرن الواحد والعشرين) وهو كتاب يدور حول الذروة النفطية وعواقبها. وفي نهاية كتابه يستعرض كنستلر المناطق الأميركية واحدة تلو الأخرى، ويَقيم مدى فرص بقائهم واستمراريتهم في الحياة بعد انتهاء العصر النفطي. ومن وجهة نظر الكاتب، يعتبر الانطلاق من الجنوب الأميركي لبدء حياة جديدة سيئاً، لأن المرء لا يمكنه التنقل فيه إلا عبر سيارة، وحينها لن يكون هناك سيارات، ناهيك عن التوترات العرقية ووجود سكان مدججين بالسلاح. وكذلك الحال بالنسبة للجنوب الغربي، وهنا معاناتهم هي من شح مياه الشرب والري، كما ولا توجد فيها طاقة رخيصة الثمن من أجل تشغيل أجهزة التكييف. ويعتبر كنستلر أن المدن الصغيرة في شمال شرق والشمال والغرب الأوسط لديها فرص أكبر للمحافظة على مجتمع مقبول نوعاً ما وصالحاً للعيش ولو أنه سيضطر يرزح في ظل حرارة شديدة ناجمة عن الاحتباس الحراري. وهنا سوف يمتلك السكان أراض صالحة للزراعة فيما لا زالوا يحتفظون بذاكرتهم بطريقة العمل فيها، وأيضاً يحتفظون ببقايا بنى تحتية، يعود تاريخها إلى ما قبل العصر النفطي. ونظراً لكونها بعيدة عن المراكز الحضرية الكبرى، والتي من المؤكد أنها سوف تنهار، يرى كنستلر وفق تحليله، أن هذه المدن ستكون بمنأى عن الجحافل الحضرية، والتي سوف تشتبك مع بعضها البعض، حال نضوب مضخات الوقود.

وفي رواية (عالم مصنوع مادياً) يحول كنستلر هذا السيناريو إلى رواية. ولكن نحن الآن في حضرة عام ٢٠٤٠ على وجه التقريب ، فقد أصبح العالم في حالة فوضى مستفحلة بسبب نضوب الموارد البترولية، بينما أصابت القنابل النووية كل من واشنطن ولوس انجلوس، وربما غيرها من المدن، ومن الصعب أن نعرف الأخبار بسبب عدم وجود شبكة انترنيت أو تلفزيون أو هاتف أو صحف، بالإضافة إلى أن الحكومة الأميركية ليس لديها سلطة فعالة. وبسبب عدم وجود آلات لصنع الأدوية تتفشى أنواع من الأنفلونزا وأمراض أخرى ويَهلك ملايين الأشخاص وربما مليارات البشر بسببها. أما الحياة بعد تلك الكارثة فترتكز على الزراعة والصيد وتربية الدجاج والأرانب.

ورواية (عالم مصنوع مادياً) تصور ما يمكن أن يكون عليه غدنا. وفي ظل فقدان الأمن والفوضى، لن تعد القنابل الذرية أو الأوبئة هي الأكثر ترويعاً، وإنما يصبح الخوف من المياه الملوثة ومن فكرة اقتلاع سن من دون تخدير. وإمكانية أن تقتل على يد مختل في أي لحظة وهو يعلم أنه سوف يفلت من العقاب لعدم وجود سجون.

وضمن روايات ما بعد القيامة الحالية تأتي رواية (الطريق) في سلم الشهرة والتي تحولت إلى فيلم للكاتب كورماك مكارثي الصادرة عام ٢٠٠٦. لا أحد في الرواية يتكلم ، وعندما يتكلم أحد ما، فهذا لكي يقول (موافق) وهو متجهم الوجه. وقد نهل مكارثي من الماضي الأميركي لكي يعثر على عوالم قبلية متعطشة للدماء. وفيها نعثر لأول مرة على العنصر المناهض للحداثة في صيرورة المستقبل الأميركي. ومن الصعب إدراك سبب هذا التغيير، ولكن نظن أن أحداث ١١ أيلول هي وراء هذا التغيير. إن القيامة في رواية الطريق هي حرب نووية شاملة.

بطل رواية الطريق هو من النوع البشري القادر على الإمساك بعشرات السنين عقب الحريق، وهذا ما فعله. في بداية الرواية لا أثر للكائنات الحية غير البشرية، فقد هلك جميعها، ورماد الشتاء النووي يحجب قرص الشمس، زوجة البطل انتحرت، أما ابنه فقد أصبح أشقر وضعيفاً، ونغفر له افتقاده لحس الدعابة بسبب تضوره من الجوع. فهو لم يتعرف على عالم سوى عالم مدمر وملوث. الرجل وابنه يمشون باتجاه الجنوب إلى البحر، ليس لأن ثمة شيئاً سيجدونه هناك(فالبحر قد مات أيضاً) وإنما لأن رواية ما بعد القيامة الجديدة أبطالها بحاجة إلى وجهة يتجهون إليها، والرحلة البحرية الطويلة هي في ظاهر الأمر عنصر ضروري لمكونات الرواية. واالناجون الآخرون في رواية الطريق حافظوا على بقائهم من خلال انتمائهم لعصابات آكلة لحوم البشر. ولكن الوالد وابنه، ومن مبدأ أخلاقي ابتعدوا عن أكل لحوم البشر. وأسطورتهم في القوة هي حملهم للسلاح، ولكنهم يفتقدون لأي خيال. الأب وابنه يعثرون على بضعة نقاط زيت محرك يوقدون بها قنديلهم، إنهم آخر نماذج الإنسان النفطي. وتبقى رواية الطريق أكثر ألفة لنا بما تحمله من صور ودلالات. ويلخص لنا مكارثي المستقبل حيث نهاية الطبيعة يعني نهاية الفن والشخصيات والحوار والسياسة وتعقيدات العلاقات الاجتماعية. تكمن المشكلة في رواية ما بعد القيامة في تمييزها الوهمي بين ما نفعله وما سنفعله يوماً ما. إن الرواية لا يمكنها الاعتماد سوى على اللحظة الراهنة. وفي وصفها للكوارث ليس ثمة ما هو غريب أو افتراضي.

لا قبور في الجنة
قصص من يوميات الألم

رياض طبرة

تستحق مجموعة الزميل الأديب حسام خضور لا قبور في الجنة تقديرين كبيرين، ذلك بأن الكاتب كان بارعاً في المضمون وفي الشكل، وأشير إلى ذلك نظراً لارتباط الشكل بالمضمون من جهة ولما تضمنته من تجديد لشباب القصة القصيرة السورية ما يعني بقاءها رائدة وفي المقدمة من الأجناس الأدبية المتزاحمة على القمة.

قرات هذه المجموعة فتوقفت عند حرفية القاص في السرد واختيار الحدث والنجاح المذهل في جعل القصة صفحات من السلاسة والعذوبة في اللغة والصدقية والنأي عما هو مألوف.

المجموعة لوحات من أدب الحرب فهي من أولها إلى آخرها موقف من الحدث الكبير عرف الأديب حسام الدين خضور كيف يقدم جديداً وجميلاً ومفيداً وماتعاً، وهو يحمل رسالة بل رسائل وطنية وإنسانية، بمنسوب عال من الحس النقدي للواقع وما يعانيه من خلل.

تبدأ المجموعة بقصة صحة الضمير في اللحظة المناسبة وقد صارت عنواناً للمجموعة باستحقاق، ليس في الجنة قبور هي حكاية الفتاة صفية التي فقدت حبيبها أحمد البطل الذي قتل عشرات من الكفار وصعد إلى الجنة، فتقع تحت تأثير حزنها فريسة لمولاها الذي يدخل إلى رأسها ضرورة اللحاق بأحمد إلى الجنة حيث ينتظرها، وهي التي تكره الموت وتخشى عذابات القبر.

تتسلمها واحدة من الجماعة بعدما تحولت إلى مفخخة معدة للتفجير في مدرسة تقوم أمها بالتعليم فيها، لكنها تتجه إلى المقبرة وتفجر نفسها لتريح ما تقدر عليه من عذابات القبر.

في القصة الثانية وهي بعنوان انتقام تطالع عملية انتقام تبعث على الحزن وتحتلك أسئلة مشروعة عن كيفية انحدار العقل لدى الإنسان ليبلغ درجة من الدونية، يحدث الانتقام في معرة النعمان من شيخها الضرير وشاعرنا الخالد أبو العلاء المعري هنا ينجح الكاتب في وصف الانتقام فيحتلك حزن مضاعف كأنك تشهد الواقعة فترى الدماء تسيل فمن هو الأعمى؟

ومن العام إلى الخاص حيث يفقد الراوي ابن أخيه رياض وهو صديق عمره لتنتهي القصة بحفرتين واحدة للشهيد وأخرى لمجمع تجاري لأحد أثرياء الحرب.

(حفرتان) نفلت الواقع إلى الأدب، قالت كل ما تريده بلا حشو أو مبالغة في موقف صريح من واقع مؤلم ينتظر الحرب على الفساد.

(إسماعيل) قصة تستحق أن تدخل المنهاج المدرسي للتعرف عن قرب على واحد من بسطاء سورية وكيف تعامل مع جثمان ابنه الشهيد حيث قبل أن يدفن أي جثمان لشهيد من بين جثامين كانت في المشفى الوطني وقال:كلهم أبنائي لا فرق بين تابوت وآخر...

أما باقي قصص المجموعة فقد يشي العنوان بمضمون القصة دون أن يعني ذلك عدم الاستمتاع بالنص وهي: روبوت عضوي، كاميرا وبندقية، لقد قطعوا أشجار الزيتون، سائق، مريم، زيارة، اللون الرمادي، الجندي الذي صار شجرة زيتون، عيد، قرار صعب، غيوم.

وهكذا فالقصص ذات العنوان بكلمة واحدة تتجاوز نصف قصص المجموعة ثم ذات الكلمتين ثم ذات الأكثر من كلمتين، وهذا يكمل معرفة الكاتب وخبرته في اختيار العتبة النصية من جهة ودورها في الكشف أو الغموض، وكذلك قصر القصة وإيجازها فليس في المجموعة قصة واحدة تدفعك للملل أو تجاوزها.

هذا من حيث الشكل أما أهم القضايا التي اشتغل عليها القاص أو الأصح التي فرضت نفسها عليه فيمكن عدها لا حصرها، وأهمها قيم ومثل الشهادة والدفاع عن الوطن، الإرهاب ثقافة وممارسة، الفساد وتمدده، الرمادية، الفداء والكفاح من أجل القضية القومية.

المجموعة صادرة ضمن منشورات وزارة الثقافة -الهيئة العامة السورية للكتاب العام الماضي.

وتر الكلام

اختراقه...
هل يكشف حياتنا الخفية؟

سعاد زاهر

على غفلة منها، وبينما كانت تهم بإغلاق هاتفها، إذ برسالة عاجلة تأتيها من أحد الأصدقاء عن إمكانية مراقبة رسائل الواتس، وأنه كي تفعّل الرسالة يجب إرسالها إلى (١٥) شخصاً.

أعجبتها اللعبة وفعلت المطلوب، وبدأت تجرب إلى أن استنفدت كل الفرص واكتشفت أن الأمر عبارة عن خدعة، وتمنت لو أنها حقيقة مكنتها من اختراق من يهمها أمرهم، لم تستطع مقاومة هذا الاغراء، رغم كل محاذيره الأخلاقية...

ما لفتها بعد أن فشلت ردود فعل أصدقائها الذين أرسلت لهم الرسالة ولم يهدؤوا إلا بعد أن طمأنتهم بأنها مجرد خدعة، ولكن هذه الحالة الساخرة ذكرتها بالفيلم الإيطالي «أصحاب ولا أعز» الذي يفترض صناعه لعبة افتراضية وهي « ترك اتصالات ورسائل هواتفهم المحمولة مكشوفة أمام الجميع ...

الفيلم الذي أنتج منه حتى الآن (١٨ نسخة) من بينها النسخة العربية، التي أثارت ضجة في ملامح اعتبرت خرقاً يمس مجتمعنا...

الطبيعة الخاصة والازدواجية التي تعشش في نفوسنا، والأقنعة التي نرتديها.. ربما هي التي أصابتنا بالذعر حين بدأت تلك الرسالة التي تنبئ باختراق الواتس آب بالوصول إلينا، ومع أن غالبيتنا عدّها مضللة، إلا أن خوفاً ما اعترانا من انزياح قناع ما وبالتأكيد البعض تخوف من اختراق خصوصيته بعيداً عن الحالات الاعتيادية التي يدفعنا الفضول لاكتشافها من علاقات وخيانات وما شابه..

ولكن هذا التخوف المبدئي ألا يعني أننا نتبنى حياة خفية مغايرة لكل ما يظهر في العلن...؟

لو صدقت تلك الرسائل وتمكنا من اختراق الواتس آب، أي صدمات سنعيشها، وكم علاقة ستنتهي إلى الأبد ربما...!

ترى هل وسائل الاتصال هي التي تقحمنا في أتون حياة خفية لا نستطيع الانفلات منها، وخاصة في حال اعتيادنا عليها...؟

أو أننا في الأساس مهيئون للازدواجية ولا نرى متعة خارجها لأن كل ما حولنا يتبناها بشغف الأمر الذي يجعلنا في حالة ضياع بعيدا عن تلك النسخ المكررة التي إن خالفناها لفظنا بلا أي مقاومة ...!

الصفر... أكثر أفكار البشر خصوبةً

سلام الفاضل

الصفر قوي لأنه توءم اللانهاية، وكلاهما متساو ومتعاكس مثل (الين، واليانغ). كلاهما متساو في المفارقة والإرباك، فأضخم الأسئلة في العلم والدين تتمحور حول العدم والأبدية، الفراغ والأزل، الصفر واللانهاية. وكانت الخلافات حول الصفر هي المعارك التي هزّت أسس الفلسفة، والعلوم، والرياضيات، والدين؛ فالصفر واللانهاية يكمنان مباشرة في أي ثورة عملية وفكرية.

كان الصفر في قلب المعركة ما بين الشرق والغرب، وفي مركز الصراع ما بين الدين والعلم. إلى أن أصبح الصفر لغة الطبيعة، وأهم أداة في الرياضيات، وأكثر المسائل الأساسية في الفيزياء، واستطاع عبر تاريخه كله، وعلى الرغم من رفضه ونفيه دائماً، هزيمة معارضيه، ولا يمكن للبشرية أن تجبر الصفر على أن يتلاءم مع فلسفاتها؛ بل إن الصفر هو ما شكّل وجهة نظر البشرية للكون، والله، والحياة.

ونظراً لهذه الأهمية التي يتوقف عليها الرقم صفر يأتي الكتاب الإلكتروني الصادر مؤخراً عن الهيئة العامة السورية للكتاب تحت عنوان (الصفر سيرة فكرة خطيرة)، وهو من تأليف: تشارلز سيف، وترجمة: د. أحمد ديركي، لتسليط الضوء على الصفر كلغز فكري صعب عبر تسجيل حوادثه الرائعة، وحثّ القراء على مرافقة الصفر من هاوية الفراغ ليخرج إلى اتساع الكون اللانهائي، ويروي المؤلف ذلك كله ببراعة وثقة الجدالات التاريخية، حيث يدحرج الصفر بانسياق وصولاً إلى العصر الراهن، كما أنه يصف ببراعة شديدة قصة رائعة عن البشرية، يتناولها بعمق وغنى، إذ يقارب مفاهيم بسيطة مثل الصفر، واللانهاية، وعلاقتهما المذهلة مع الدين والثقافة في الحضارات السابقة، والعلوم الراهنة.

يبدأ المؤلف أولى فصول هذا الكتاب بسرد قصة ولادة الرقم صفر حيث يرى أن قصته قديمة تمتد جذورها إلى فجر الرياضيات منذ آلاف السنين، أي ما قبل الحضارة الأولى، وأنه مفهوم شرقي ولد في منطقة بلاد الشام وبلاد الرافدين قبل ميلاد السيد المسيح. ليتناول لاحقاً ملامح انتقال الصفر إلى القارات والحضارات الأخرى شرقاً وغرباً وكيف استُقبل هناك، ويبيّن أن الصفر هوجم في الغرب الذي لم يستطع تقبله لمدة تجاوزت نحو ٢٠٠٠ عام، ففي الكون اليوناني المتخيل لا يوجد ما يُعرف بالصفر أو العدم، وكانت نتائج هذا الرفض رهيبة، حيث أعاقت نمو الرياضيات، وقيّدت الإبداع العلمي، وأحدثت فوضى في التقويم، مما دفع بالغربيين إلى تحطيم كونهم المتخيل، وقبول الصفر أخيراً. أما الشرق فقد رحب بالصفر والفراغ، ولا سيما الهند التي لم تخشَ منهما، بل احتضنتهما على العكس من نبذ الغرب لهما.

ثم يعرج المؤلف فيما بعد إلى تحوّل الصفر إلى أقوى أداة جديدة ظهرت في عمق العالم العلمي مُسلّطاً الضوء في ذلك على حساب التفاضل والتكامل الذي بدا مفارقة حينها، وابتكار كلّ من إسحاق نيوتن، وغوتفريد ليبنيز أقوى منهج رياضي ممكن من خلال التقسيم على صفر، وجمع عدد لا محدود من الأصفار مع بعضها البعض. ليصل تالياً إلى الحديث عن الصفر واللانهاية، وعقد مقارنات تظهر مقدار التشابه بينهما ليستنتج أن الصفر واللانهاية هما وجهان لعملة واحدة، وهما عدوان متساويان في القوة عند طرفي نهاية عالم الأرقام؛ حيث تكمن طبيعة الصفر الصعبة في القوى الغريبة للانهاية، ويمكن فهم اللانهاية بدراسة الصفر، ويؤكد أنه كان على علماء الرياضيات لتعلّم ذلك أن يغامروا في عالم خيالي غريب، يجلس فيه كلّ من الصفر واللانهاية في أقطاب متعاكسة.

ثم يعرج للحديث عن الصفر في الفيزياء التي عَبَر إليها من الرياضيات، فبدا عديم الفائدة بالنسبة إلى الفيزيائيين، وأصبح الصفر في الديناميكية الحرارية عائقاً لا يمكن تخطيه، وفي نظرية آينشتاين للنسبية العامة أصبح الثقب الأسود، وفي ميكانيكا الكم الصفر بات مسؤولاً عن مصدر غريب للطاقة، وهو شبح قوة مؤثرة من لا شيء بتاتاً.

وهكذا نرى ما للصفر من أهمية تكرّست في علوم عدة حاول أن يلجها مؤلف الكتاب، وهو يحافظ في الآن نفسه على نغمة جميلة وعميقة تشي بعمق الموضوع الذي يتناوله، ليؤكد عبر كتابه هذا بأن الصفر كان من أكثر الأفكار التي ابتدعتها البشرية خصوبة، وأكثرها خطورة، ويفتح للقرّاء نوافذ واضحة كي يروا التقنيات القوية للعلوم الرياضية، وألغاز الفيزياء الحديثة.

جزيرة الأوهام

شهناز صبحي فاكوش

يقرأ.. لفتته جملة (جزيرة الأوهام) استل ورقة وقلماً، لديه الكثير الذي يدونه تحت هذا العنوان.. مثل كل الناس.. له.. لأولاده وأحفاده، ومستقبل وطنه الذي لم يغادره.. كان قلمه يكتب بمداد دمه، بعصارة عقله ونفحات قلبه، يمزق أوراقاً، ثم يعود لحروفه الممتدة بين مرونة أعصابه..

يعيش اللحظة.. تغيب مثل ومضة الكهرباء التي ترمش وتختفي.. يعاود اغتراف بعض الجديد الذي تعلمه، ففي كل يوم لابد يضيف جديداً لحصيلة عقله.. ومخزون حياته مهما دنا أو كبر.. يرتشف بعض الماء العذب، عند ابتلاعه يصبح مثل غصة تسعى للمرور من عنق الزجاجة..

قاسٍ على نفسه، لا يود البحث عن أصدقاء جدد، بعد أحبته الذين استشهدوا. واضح كالشمس.. حلمه أن تكون قادمات الأيام مثل صحته التي تفرض ذاتها على الحياة. يحاول استردادها بالأكل الطازج دون هرمونات.. يتناول الدواء في موعده، يمارس رياضة بسيطة.. ينام مبكراً.

مازالت الأيام تفر منه إلى جزيرة الأوهام، يحاول الوصول إليها بيقين قدراته الذهنية.. يهيم في القراءة والكتابة.. والاستيقاظ مع خيوط الشمس الأولى.. والانغماس في مذاهب الطبيعة.. يملأ رئتيه بعطر التراب الندي الموشى بدم رفاق السلاح.. يعلم تماماً أن الأخذ من الحياة مفتاحه العمل والإبداع. يسترجع مخزون عمره حتى لو قاربه النسيان.. من ذهن لا يفارق مكنونه..

هو يحسن جوار نعمه، التي تتجسد آلاءها مع دقات الساعة ودورة عقاربها.. كل يوم يهيم فيه بجزيرته التي يحلم أن تحمل كل ما فقده بفعل الحرب والخيانة، غير مصدق أنها يمكن أن تكون جزيرة الأوهام لا الأحلام.. بدأ يكتب سرديات تاريخه، سويعات الفرح التي مر بها أيام الغضب والاقتحام ضد عدوه.. حصاره ورفاقه، ندب جراحه التي يحملها أوسمة شرف وفخار.

كم وكم من الذكريات سيدوم، مناسبات زيارات. كل ما ممر بحياته بين أهله وأصحابه ورفاق السلاح.. نجاحات أبنائه.. أحفاده.. وكسيرته حين فقد بعضاً من أبنائه.. يستفيق فجأة من مآلات أوهام جزيرة الاغتراب؛ التي مخر عباب بحرها وألقته على شاطئها سفينة الغربة في داخله.

استفاق من شروده على صوت أحد طلابه وهو يناديه بهمس رشيق وصوت عذب، هل لي أن أستشيرك أستاذي، فأغترف قليلاً من خبرتك أصبُه في جعبة بحثي.. كم كانت تسعده تلك العبارات، كلما سمعها من أحدهم؛ تنتشي روحه.. ويشعر أنه مازال على قيد الانبعاث..

مع بداية مشروع كل طالب من طلبته يشعر بنعمة وجوده في الحياة، نعمة تأخذه وحقائب سفره إلى جزيرة الأحلام.. التي ينتظر على شطآنها عودة بعضٍ من حياة ما قبل الحرب.. ليستحم بضياء القمر ليلاً.. ويشرق من جديد مع ومضات شمس الصباح التالي.. يفتح نافذة غرفته، يشعر أنه يفتح معها آفاق مستقبل يتمنى أن يحمل لحظات سعادة، غير تلك المسروقة من ماضي أيام وطنه الذي ينتمي إليه بصدق.. فهو جزء مهم منه..

يمم وجهه شطر الطبيعة التي تسوّر داره استشعر مرونة أعصابه التي تزداد حشرية نحو القوة حتى لو كان مازال على كرسيه المتحرك.. كان ينظر إلى مكتبه، والأوراق التي دون عليها كل ما يحب ويكره.. ممسكاً بالورقة الفارغة والقلم هل يخط (جزيرة الأوهام).. عنواناً لكتابه..

ويبقى السؤال أهي حقاً أوهام أم أحلام.. وحقائق.. استفاق من غيبوبته على صوت أحد طلابه يناديه بهمس عذب هل لك أن تمنحني معلومة.. كم كانت تسعده تلك العبارات كلما سمعها تنتشي روحه المتعبة.. ويشعر رغم ما يثقله من هموم، أنه مازال على قيد الانبعاث..

زاوية حادة..

على قلق..

غسان شمه

ذات مرة قال فرويد إنه كلما انتهى من دراسة أو بحث في النفس البشرية يجد أن الأديب المدهش دوستوفسكي قد سبقه إلى أغوار النفس البشرية من خلال الشخصيات التي يقدمها في أعماله الروائية.

ونحن اليوم نعلم أن الأديب والروائي الكبير صاحب الأعمال الخالدة غالباً ما يمتلك من المعرفة الإنسانية والفلسفية والرؤية النقدية ما يجعله خزاناً للتجربة البشرية التي تتسم بالعمق والحفر البعيد الأثر في الذات البشرية والمجتمع..

يستطيع كل منا أن يستحضر في ذهنه شيئاً من هذه التجربة الإبداعية أو تلك، ولكني لأسباب كثيرة غالباً ما استوقفني بيت المتنبي، الذي أجد فيه الكثير من نوافذ الرؤية الإنسانية المفتوحة على المعرفة والتجربة التي تلخص بتكثيف شديد صورة مدهشة يمكن أن تجد لها مثيلاً في كثير من الأمكنة والأزمنة، فالمتنبي يقول «والظلم من شيم النفوس فإن / تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم» وكأنه يضعنا أمام صورة مغايرة في فهم الطبيعة الإنسانية..

وعندما ننظر اليوم فيما يحيط بنا من عالم مثير للشفقة والحزن على حال الإنسان نفسه، نجد الكثير مما أصابنا ينبع في العمق من تلك العلاقة بين الغرور والصلف الذي يميز ميل الإنسان للقوة، لكن المدهش كان تلك النظرة العميقة للذات البشرية التي تترفع عن ممارسة الظلم بداعي عجز غير معلن عنه.. فهل من الممكن أن تكون هذه الصورة هي حقيقة الحافز عند الإنسان في إقدامه ذاك أو إحجامه؟

بالطبع هناك الكثير من المفكرين والفلاسفة يرفضون هذه الرؤية لكن من يمتلك إجابة نهائية على مستوى مسألة إنسانية بهذا العمق..؟ وهل يعيدنا ذلك لنصف بيت المتنبي «على قلق كأن الريح تحتي..» وهل مصيرنا هو هذا القلق الجدلي؟

من العالم

«آرثر ميللر» يكشف لماذا كتب مسرحية «البوتقة»

ارثر ميللر الكاتب الاميركي الأكثر شهرة يكتب ويقدم أسباب كتابته مسرحية البوتقة ، المقال المهم جداً الذي تعيد وسائل الاعلام الثقافية ترجمته ونقله كلّ فترة من الزمن ،وقد ترجمته أخبار الأدب المصرية ونشرته في عدد أيار عام ٢٠٢٢م تقول أخبار الأدب :

نشرت جريدة النيويوركر الإلكترونية إعادة لمقال كتبه المسرحى الأميركي الأشهر أرثر ميللر عام ١٩٩٦ فى النيويوركر (الورقية وقتها) بمناسبة مشاهدته لفيلم البوتقة المقتبس عن مسرحيته الشهيرة، والتى دارت أحداثها فى بلدة سالم بولاية ماساتشوستس فى القرن السابع عشر، وكتبها ميللر فى إسقاط على المكارثية التى اجتاحت أميركا فى بداية الخمسينيات

هنا نص المقال.

هارى كوهن رئيس شركة كولومبيا للإنتاج فعل شيئاً كان يعتبر فى زمن آخر لا يعقل. أعطى رجال المباحث FBI سيناريو الفيلم، ثم طلب منه بعدها أن أبدل رجال العصابة - الذين يهددون ويقتلون أعداءهم - وأضع بدلاً منهم الشيوعيين

بطبيعة الحال، الأفعال غير منطقية أثناء الحروب الثقافية والدينية كما هي في الكوابيس. الشيء موضوع الخلاف هو النوايا المدفونة، الولاءات السرية للقلب المتفرد، التى كانت دائماً التهديد الرئيسى للعقل الكهنوتى ومعقله الأزلي.

شاهدت مسرحية (البوتقة) فى فيلم سينمائى العام الماضي ما أعاد إلى عقلى عمق الماضى السحيق الذى مثلته المسرحية. بينما أشاهد الممثلين الموهوبين يتألقون على الشاشة، ومعهم الجموع والأطفال والخيول والعربات، فكرت مرة أخرى كيف مزجت كل هذا منذ ما يقرب من خمسين عاماً، فى أميركا التى يبدو أن لا أحد ممن أعرفهم يذكرها بوضوح الآن. المضحك أن هذا الفيلم مصنوع فى أحد استوديوهات هوليوود، شيء لم يمكن تخيله فى الخمسينات. لكن ها هو دانيال داى لويس (جون بروكتور) يحصد حقله البحري. جون ألين (إليزابيث) ترقد حبلى فى زنزانة باردة. وينونا رايدر (أبيجيل) تسرق أموال عمها القس. الساحر بول سكوفيلد (القاضى دانفورث) وتعاطفه الحنون مع الأطفال الممسوسين بالشيطان. وكل شيء يتكرر فى حتمية كالمطر.

أتذكر تلك السنوات التى شكلت هيكل «البوتقة»، لكننى فقدت ثقل الخوف الذى تملكنى حينئذ. الخوف لا يدوم بشكل متماسك. وكما يستطيع حضوره إفساد الأحكام، فغيابه يضلل الذاكرة. ما يسبب الرعب لجيل كامل سيجلب ابتسامة دهشة للجيل التالي. أتذكر عام ١٩٦٤، عشرون عاماً فقط بعد الحرب. هارولد كلرمان -مخرج «حادث فى فيتشي» عرض لطاقم العمل فيلماً به خطبة لهتلر، رغبة فى إعطائهم الإحساس بفترة النازى والتى تدور فيها أحداث مسرحيتي. شاهدوا هتلر وهو يواجه ملعباً ممتلئاً بعشاقه، يقف على أطراف أصابعه فى نشوة، يداه متشابكتان تحت ذقنه، على وجهه ابتسامة رضا عن النفس، جسده يستدير بصورة لطيفة، وهم -الممثلون- يقهقهون على حركاته المبالغ فيها

بالمثل،الأفلام المسجلة للسيناتور جوزيف مكارثى غير مريحة -إذا تذكرت الخوف الذى نشره- بالزمجرة الخارجة من فتحات أنفه، بعدوانية كما مشاكسي الشوارع الجانبية. وتحديقة عينى القطة وسخريته الشريرة.يشبه هذا الآن كوميديا ممثل بارع يحتفظ بوجه جامد بينما يرغو ويزبد بتهديداته.

قدرة مكارثى على إثارة الخوف من الزحف الشيوعي لم تكن كلها مبنية على الوهم، بالتأكيد الخوف الحقيقى أو المزعوم، دائماً كالمحار يفرز لؤلؤته حول ذرة من الحقيقة. تحول الاتحاد السوفيتى من حليفنا فى الحرب إلى امبراطورية تتنامى بسرعة. في عام ١٩٤٩ ماو تسى تونج صعد للسلطة فى الصين. غرب أوروبا أيضاً بدت مستعدة للتلون بالأحمر، خاصة إيطاليا، حيث كان حزبها الشيوعي هو الأكبر خارج روسيا. الرأسمالية فى رأي الكثيرين، وأنا منهم، لم يكن لديها شيء لتقوله. فآخر أزهارها السامة كانت فاشية ألمانيا وإيطاليا.

مكارثي، متغطرس وسيئ التربية، لكن في نظر الكثيرين مخلص وصادق. قام بتشكيل كل هذا لصورة تدخل عقل أي شخص: فقدنا الصين، وسنفقد أوروبا قريباً، لأن وزارة الخارجية التى عينها بالطبع رئيس ديموقراطي، ممتلئة بموظفين خونة موالين للسوفيت. هكذا بمنتهى البساطة.

كان فقدنا للصين مساوياً لفقد البرغوث للفيل، هذه مجرد عبارة لها منطقها لم يجرؤ أحد على التساؤل عن صحتها وإلا وضع نفسه فى خطر الاشتباه. بالفعل وزارة الخارجية بدأت فى مطاردة ورفد الموظفين الذين يعرفون عن الصين لغتها وثقافتها الغامضة.خطوة أشبه بممارسة الشعوذة، بأن تعصر رقبة دمية فتجعل رأس عدوك البعيد تسقط عن جسده. كانت الشعوذة في كلّ مكان، سياسات المؤامرات الخارجية سيطرت على الخطابات السياسية حتى توارى أمامها أي أمر آخر. كيف يمكن التعرض لتلك الفظائع في مسرحية.

«البوتقة» كانت ثمرة اليأس. أعتقد أن كثيراً من يأسى كان متفرعاً من إحباط عام، ناتج من الصدمة المرحلية التى ضربت العقول بصعود الفاشية الأوروبية والمعاداة الوحشية للسامية التى حكمتها وقتها. لكن عام ١٩٥٠، عندما بدأت في التفكير في الكتابة عن اصطياد الشيوعيين فى أميركا، كان أغلب الحافز من العجز الذى ساد بين الليبراليين الذين، برغم عدم رضاهم عن مخالفة التحقيقات للحقوق المدنية، كانوا مرعوبين إذا قاموا بالاعتراض الزائد عن الحد من اتهامهم بأنهم شيوعيون سريون.

في أي دراما، مهما كانت تافهة، يجب أن يوجد مرجع أخلاقي تقاس عليه الأفعال. في الحياة الحقيقية نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات لم يعد ذلك المرجع موجوداً. اليسار لم يعد يرى بوضوح انتهاك الاتحاد السوفيتى لحقوق الإنسان. الليبراليون المناهضون للشيوعية لم يستطيعوا الاعتراف بوجود انتهاكات لحقوق الشيوعيين من لجان الكونجرس. فى الوقت ذاته كان اليمين يحصد كل المكاسب. أيام «أنا أتهم» كانت قد انتهت لكل شخص يريد أن يشعر بحقه فى أن يعارض فعل شخص آخر ويثبت خطأه. بالتدريج، كل المبادئ السياسية والأخلاقية ذابت مثل ساعة دالي. لا أحد إلا مجنون كما بدا استطاع حقاً أن يقول كلّ ما يؤمن به.

الرئيس ترومان كان من أول من وجب عليهم التعامل مع تلك المعضلة، وطريقته في حلّها صارت مثيرة للاهتمام، بأن يجهز أشرعته لينتفع بالعاصفة التى يسمع عواءها. فى البداية كان غاضباً من مزاعم التسلل الشيوعى على نطاق واسع في الحكومة، ووصف تهمة «تدليل الشيوعيين» بأنها ذريعة دسها الجمهوريون لإسقاط الديموقراطيين. لكن مع ازدياد قوة الجماعات المؤمنة بوجود المؤامرة السوفيتية شعر ترومان بضرورة إنشاء مجالس يضمن ولاءها.

تحت قيادة لجنة مجلس النواب للأنشطة غير الأميركية وقيادة مكارثي، تم الهيمنة على نفوس الأميركيين. فى صيدهم للحمر وصلوا لهوليوود. وافقت الاستديوهات- بعد مقاومة مبدئية- على منح قائمة بأسماء الفنانين للجنة مجلس النواب لفحصها قبل توظيفهم في أي عمل. هذا أطلق حالة رعب قصوى بين الممثلين والمخرجين، والآخرين من أولاعضاء النقابة الفنية إلى هؤلاء الذين بالكاد لهم احتكاك بالجمعيات القيادية.

كانت فكرة المؤامرة السوفيتية هي العدوى الأولى التى أظهرت مجموعة من الأوبئة، وهي التى بررت سحق أي محاولة للاختلاف، أي ظل لأحكام عقلانية يتطلبها المنطق. والأسوأ الشعور أن حساسيتنا تجاه الهجوم على حريتنا كان يتلاشى منا، في الحقيقة منى أنا . في سيرتي الذاتية «انحناء الزمن» ذكرت الوقت الذى كتبت فيه سيناريو فيلم «الخطاف The Hook» عن فساد نقابة العمال في ووترفرونت ببروكلين. هارى كوهن رئيس شركة كولومبيا للإنتاج فعل شيئًا كان يعتبر فى زمن آخر لا يعقل. أعطى رجال المباحث FBI سيناريو الفيلم، ثم طلب منى بعدها أن أبدل رجال العصابة - الذين يهددون ويقتلون أعداءهم - وأضع بدلًا منهم الشيوعيين. عندما رفضت تنفيذ تلك البلاهة (جو ريان رئيس نقابة عمال لونجشور ذهب بعدها إلى سجن «سنج سنج» بتهمة الابتزاز) تلقيت برقية من كوهن يقول فيها «اللحظة التى نحاول فيها صنع فيلم يدعم الأميركيين تنسحب!» فى ذلك الوقت-١٩٥١- كنت بدأت فى تقبل ذلك الجنون الرهيب كشيء عادي، لكن كان هناك شيء رائع داخله رغبت بشدة في وضعه على خشبة المسرح.

فى تلك السنوات صارت طرقنا في التفكير مليئة بالأوهام وجنون الارتياب لدرجة أن تخيل كتابة مسرحية عن ذلك المناخ كان يشبه محاولة وضع كرة من الصوف بين أسنانك. لم تكن لدى الأدوات لإنارة المستنقع ولم أستطع الخروج منه.

كنت قرأت عن محاكمات الشعوذة في الجامعة، لكن حين قرأت كتاب ألف صفحة نشر عام ١٨٦٧ في جزأين لمؤلفه تشارلز أوفام الذى كان حينها عمدة بلدة سالم، عرفت عندها أننى أريد الكتابة عن تلك الحقبة.

أوفام لم يكتب فقط تحقيقاً مفصلاً وواسع النطاق عما كان وقتها فصلاً مفقوداً من تاريخ سالم، لكن أيضاً فتح لي الباب لتفاصيل العلاقات الشخصية بين أبطال تلك المأساة.

زرت سالم أول مرة فى ربيع كئيب عام ١٩٥٢. كانت وقتها مدينة مهمشة. بمصانع مغلقة ومتاجر خاوية. فى دار محكمة المدينة الموحشة قرأت نصوص محاكمات الشعوذة عام ١٦٩٢ التى كتبها بالاختزال البدائى القساوسة الذين كانوا يُملون بعضهم. لكن

كان هناك إضافة واحدة في كتاب أوفام ما جعلني أضع آلاف القطع التى صادفتها فى مكانها الصحيح. وهو تقرير كتبه القس صمويل باريس، الذى كان أحد المحرضين الرئيسيين على مطاردة المشعوذين.

«أثناء التحقيق مع إليزابيث بروكتر، أبيجيل ويليامز وآن بوتنام»- وهما مراهقتان «منكوبتان» صاحبتا الادعاء، وأبيجيل كانت ابنة أخ القس باريس- «عرضتا ضرب بروكتر سالفة الذكر. لكن عندما اقتربت يد أبيجيل فُتحت بعد أن كانت في هيئة قبضة ومرت بخفة عندما اقتربت من بروكتر، وبطول أصابعها المفرودة لمست قلنسوة بروكتر بخفة. وفي لحظتها صرخت أبيجيل من أصابعها، فأصابعها، أصابعها احترقت.»

بهذه الحركة اللافتة للنظر من فتاة مضطربة، تأكدت أن عمل مسرحية صار ممكنًا.أبيجيل اليتيمة كانت تعمل لدى إليزابيث بروكتر، وعاشتا فى نفس المنزل حتى طردت إليزابيث الفتاة. أنا متأكد أنه بسبب أن جون بروكتر عاشر الفتاة التى كان ولا بد من تسريحها إرضاء لإليزابيث.صارت هناك كراهية بين المرأتين الآن، حتى أن لحظة أن صارت أبيجيل المركز البشرى لهذه الفوضى وقادرة على إرسال إليزابيث إلى حتفها بإشارة من يدها، رفعت يدها ثم اوقفتها، ثم أشارت بالحكم.

لم أقترب من قصة الشعوذة بلا سبب، ولا من اعتبارات اجتماعية وسياسية بحتة. زواجى كان يتأرجح بعد اثنى عشر عاماً وأنا أعرف أكثر مما أتمنى عن أين يقع اللوم. لكن جون بروكتر الخاطئ ربما بالتغلب على عجزه وذنبه وتحوله لأكثر صوت صريح ضد الجنون حوله صار تأكيدًا لي، بل مصدر إلهام: أن صرخة أخلاقية واضحة ما زالت قادرة أن تنبع حتى من روح بها وسط ظلامها بعض النور،صرخة تستطيع النفاذ من بين أكوام الأدلة. أدركت اننى أخيرًا وجدت شيئاً من ذاتي فيها، وبدأت المسرحية تتكون حول هذا الرجل.

لكن حين اتضح الشكل الدرامي ظلت مشكلة واحدة بلا حل: كثير من مشاهد محاكمات سالم كانت متشابهة مع محاكمات لجان الكونجرس لدرجة أننى من الممكن أن أُتهم بتحريف التاريخ لصالح جهة ما. بالطبع لم يكد يُعرف أن مسرحيتى الجديدة حول سالم إلا واضطرت لمواجهة التهمة أن هناك تشابهاً ماكراً، أنه لم يوجد أبداً ساحرات بل من المؤكد أنهم الشيوعيون. رغم أن فى القرن السابع عشر لم يكن وجود الساحرات محل شك من أرفع العقول فى أوروبا وأميركا. وحتى أكثر المحامين تميزاً، مثل سير إدوارد كوك، بطل حقيقي من أبطال الحرية لدفاعه عن القانون العام ضد قوة الملك التعسفية،آمن أن الساحرات يجب أن يعدمن بلا رحمة. بالطبع لم يكن هناك شيوعيون عام ١٦٩٢، لكن إنكار الساحرات أو قواهن قد يكلفك حياتك حرفياً نظراً للإشارة إليهن في الكتاب المقدس: لا يجب أن تدع ساحرة تعيش. فيجب أن توجد ساحرات في العالم وإلا فالكتاب المقدس يكذب. في الواقع بنية الشر ذاته تعتمد على تآمر لوسيفر ضد الرب، والمضحك أن مجتمع من اللوسيفيريين موجودون في جميع أنحاء البلاد اليوم؛ وربما يوجد منهم الآن عدد أكبر من الشيوعيين.

مثل جميع البشر يسكن الخوف في بقعة مظلمة من روحي. عندما سرت في الليل في الشوارع الخالية المبللة لسالم في الأسبوع الذي قضيته هناك، استطعت بسهولة تخيل رعبي أمام مجموعة من الفتيات يجرون إلى عبر الطريق صارخين أن هناك روحاً مسخرة من شخص ما تطاردهم. قفزتى ثلاثة قرون للخلف بدافع من القلق قد تكون بسبب نقطة معينة فى هوامش كتاب أوفام. اتخذت المحكمة العليا في المقاطعة قراراً قاتلاً بالاعتراف، لأول مرة، باستخدام «الأدلة الشبحية» كدليل على الإدانة. يعنى الدليل الشبحى، الذى يحمل اسماً مناسباً، أنه إذا أنا أقسمت أنك أرسلت» روحك المسخرة» لخنقي أو مداعبتي أو تسميمي أنا أو ماشيتي، أو للتحكم في أفكاري وأفعالي، فقد أوصلك لحبل المشنقة على الإعدام ما لم تعترف أنك اتصلت فعلًا بالشيطان. ففي النهاية فقط الشيطان الذي يستطيع منح قوة الانتقال الخفي لحلفائه في مؤامرته الأبدية للقضاء على المسيحية.

بطبيعة الحال، فإن أفضل دليل على صدق اعترافك هو تسمية الآخرين الذين رأيتهم في معية الشيطان. دعوة شخصية للانتقام، لكنها أصبحت رسمية بختم الدولة الكهنوتية. كان الأمر كما لو أن المحكمة قد سئمت من التفكير ودعت في غرائزها: الدليل الشبحى - تلك السحابة المسمومة من الخيال المصاب بجنون الارتياب- كان لها نوع من المعنى الجنوني، كما فعلت في عام ١٩٥٢ المليء بالمؤامرة، عندما كان في كثير من الأحيان لم يكن السؤال أفعال المتهم بل الأفكار والنوايا في عقله المتفرد.

كان الإحكام المذهل للعملية ملحميا. لم يتم اتهام الجميع، بعد كلّ شيء، لذلك يجب أن يكون هناك سبب لكونك متهماً. من خلال إنكار وجود أي سبب على الإطلاق لتوجيه الاتهام إليك، فإنك تشير ضمنياً، بفضل قفزة منطقية صغيرة مدهشة، إلى أن مجرد الصدفة هي التى اختارتك، وهذا بدوره يعنى ضمنياً أن الشيطان قد لا يكون في الواقع له عمل في القرية أو- لا قدر الله - غير موجود من الأصل. لذلك، فإن التحقيق نفسه إما خاطئ أو احتيال. يجب أن تكون لوسيفير سري لتقول ذلك: ليست فكرة رائعة إذا كنت تريد العودة إلى مزرعتك.

كلما قرأت أكثر عن الرعب الذى حدث في سالم، ربطتها أكثر بصور متطابقة معها في تجارب مشابهة في الخَمسينيات: الصديق القديم لشخص مدرج في القائمة السوداء يعبر الشارع لتجنب رؤيته يتحدث معه؛ التحول بين عشية وضحاها من اليساريين السابقين إلى وطنيين ولدوا من جديد، وهلم جرا. على ما يبدو ، بعض السلوكيات عالمية. عندما رأى غير اليهود في ألمانيا هتلر، جيرانهم اليهود يُنقلون بالشاحنات ، أو رأى المزارعون فى أوكرانيا السوفيتية أن الكولاك يتلاشون أمام أعينهم، كان رد الفعل السائد، حتى بين أولئك غير المتعاطفين مع النازية أو الشيوعية، هو الابتعاد خوفاً أن يحسبوا مع المدانين. لكن كما علمت من اللاجئين غير اليهود، غالباً ما كان هناك شعور بالتعاطف اليائس ممزوج بـ «حسنًا، لا بد أنهم فعلوا شيئاً». بعض منا يستطيعون التخلى بسهولة عن إيماننا بأن المجتمع يجب أن يكون له معنى بطريقة أو بأخرى. إن التفكير بأن الدولة فقدت عقلها وتعاقب الكثير من الأبرياء أمر لا يحتمل، وبالتالى يجب أن ينبع رفض الاتهامات والبراهين منا.

انجذبت إلى كتابة «البوتقة» بالطريقة التى أتاحتها لى لاستخدام لغة جديدة - لغة نيو إنجلاند فى القرن السابع عشر. كانت تلك اللغة الإنجليزية الواضحة والصريحة تتحرر بطريقة حسية غريبة ، مع تأرجحها من دقة شبه قانونية إلى ثراء مجازي رائع. قال ديودات لوسون، أحد كبار الوعاظ الذين يطاردون السحرة، فى خطبة: «الرب يسبب حدوث أشياء فظيعة بيننا، تطيل بطريقة غير طبيعية قيد الأسد الذى يزأر ، حتى ينزل الشيطان بغضب عظيم». . حشد لوسون أتباعه من أجل ما لم يكن أقل من حرب دينية ضد الشرير - «تسلحوا تسلحوا تسلحوا!» - وشركائه المخفيين المعادين للمسيحية.

لكنها لم تكن لغتى بعد، ومن بين الإستراتيجيات الأخرى لجعلها لغتى ، طلبت المساعدة من زميل سابق في جامعة ميشيجان، الباحث والشاعر اليونانى الأميركى كيمون فريار. (قام لاحقًا بترجمة كازانتزاكيس) لم تكن المشكلة تقليد الخطاب القديم ولكن في محاولة خلق صدى جديد له يتدفق بحرية من ألسنة الممثلين الأميركيين. كما هو الحال في الفيلم، بعد ما يقرب من خمسين عامًا، استحوذ الممثلون في الإنتاج الأول على اللغة وركضوا معها بسعادة كما لو كان خطابهم المعتاد.

استغرقت كتابة «البوتقة» حوالى عام. بفصولها الخمسة وواحد وعشرين شخصية، لم يخطر ببالى مطلقاً أنها ستجعل رجلًا شجاعاً ينتجها في برودواى، خاصة فى ظل المناخ السائد، لكن كيرميت بلومجاردن لم يتردد أبدا. قبل أن تبدأ المسرحية بفترة طويلة، بدأ التوتر الغريب فى الظهور. قبل ذلك بعامين فقط، الشركة المسؤولة عن جولة مسرحية «وفاة بائع متجول» لعبت دورًا لحدوث حشد ضعيف فى بيوريا، إلينوي، بعد أن قاطعها الفيلق الأميركى وبيت الشباب الأميركى حتى الموت تقريباً. قبل ذلك، كان قدامى المحاربين الكاثوليك يضغطون على الجيش ألا يسمح لمجموعاته المسرحية بأداء، أولاً، «كل أبنائى»، ثم أى مسرحية لى ، في أوروبا المحتلة. رفضت نقابة المسرحيين الاحتجاج على الهجوم على مسرحية جديدة لشون أوكاسى، الشيوعى المعلن عن نفسه، والتي أجبرت منتجها على إلغاء العرض. علمت بحدوث حالتي انتحار من قبل ممثلين مكتئبين من التحقيق القادم، و بدا أن كل يوم يجلب أخباراً عن أشخاص ينفون أنفسهم إلى أوروبا: تشارلى شابلن، المخرج جوزيف لوسي، جول داسين، فنان الهارمونيكا لارى أدلر، دونالد أوجدن ستيوارت، أحد كتاب السيناريو الأكثر رواجًا فى هوليوود، سام واناميكر، الذى قاد الحملة الناجحة لإعادة بناء مسرح أولد جلوب على نهر التايمز.

فى ليلة الافتتاح، ٢٢ يناير ١٩٥٣، علمت أن الجو سيكون معادياً جداً. لم يكن ضعف الحشد مفاجأة. لم يشتهر جمهور برودواى بحب دروس التاريخ ، وهو ما صنعوه من المسرحية. يبدو لي أنه من المناسب تماماً أنه في اليوم الذى افتتحت فيه المسرحية، كتب عنوان إحدى الصحف «ثلاثة عشر شيوعياً مذنباً» - قصة عن الشيوعيين الأميركيين الذين واجهوا السجن بتهمة «التآمر لتعليم والدفاع عن واجب وضرورة الإطاحة بالحكومة بالقوة». «وفي الوقت نفسه، تم ضمان فرض العزلة على العمل من قبل المخرج جيد هاريس، الذى أصر على أنه عمل كلاسيكى يتطلب من الممثلين النظر للأمام ، وليس بعضهم البعض. لم ينجرف النقاد بعيداً. كتب والتر كير من صحيفة هيرالد تريبيون، الذي وصف المسرحية بأنها «خطوة إلى الوراء نحو الأداء الميكانيكي.» لم تكن التايمز أكثر لطفاً، قائلة، «هناك الكثير من الإثارة وليس هناك ما يكفى من المشاعر في البوتقة. لكن مستقبل المسرحية اتضح أنه مختلف تماماً.

بعد حوالى عام، تم عمل إنتاج جديد، مع ممثلين أصغر سناً وأقل إنجازاً، يعملون في قاعة رقص فندق مارتينيك، بالحماسة التى يتطلبها السيناريو والزمن، وحققت «البوتقة» نجاحاً كبيراً. صار تعثر المسرحية من الماضي، واليوم يقال إنها واحدة من أكثر الكتب طلباً في هذا البلد؛ باعت إصدارات بانتام و بنجوين أكثر من ستة ملايين نسخة. لا أعتقد أنه كان هناك أسبوع في الأربعين سنة الماضية لم تكن على خشبة المسرح في مكان ما في العالم. وليس الفيلم الجديد هو الإصدار الأول. كتب جان بول سارتر ، فى مرحلته الماركسية ، فيلماً فرنسياً مقتبساً ألقى باللوم في المأساة على مالكي الأراضي الأغنياء الذين يتآمرون لاضطهاد الفقراء. (في الحقيقة، كان معظم الذين تمّ شنقهم في سالم من ذوى الأصول، وكان اثنان أو ثلاثة من أصحاب الأراضي الكبار جداً).

إنها مبالغة طفيفة أن نقول إنه،خاصة في أميركا اللاتينية، يبدأ إنتاج «البوتقة» في أي مكان يبدو فيه الانقلاب السياسى وشيكا، أو عندما يتم الإطاحة بنظام ديكتاتوري. من الأرجنتين إلى تشيلى إلى اليونان وتشيكوسلوفاكيا والصين وعشرات الأماكن الأخرى، يبدو أن المسرحية تقدم نفس البنية البدائية للتضحية البشرية لإذكاء نار التعصب وجنون الارتياب مستمرة في تكرار نفسها إلى الأبد كما لو كانت مغروسة في عقل المجتمعات.

لست متأكداً مما تقوله «البوتقة» للناس الآن، لكننى أعلم أن مركزها المصاب بجنون الارتياب لا يزال يضخ نفس التحذير الجذاب القاتم الذي كان يفعله في الخمسينيات. بالنسبة للبعض، يبدو أن المسرحية تدور حول معضلة الاعتماد على شهادة أطفال صغار يتهمون البالغين بالاعتداء الجنسي، وهو أمر لم أكن أتخيله منذ أربعين عاماً. بالنسبة للآخرين، قد يكون مجرد افتتان بتفشى جنون الارتياب هو الذى يملأ المسرحية - الذعر الأعمى الذي يبدو، في عصرنا، أنه غالبا ما يجلس على حواف الوعي القاتمة. من المؤكد أن تداعياته السياسية هي القضية المركزية لكثير من الناس. تبين أن استجوابات سالم كانت نماذج دقيقة بشكل مخيف بتبك التى لم تأتِ بعد في روسيا ستالين، وتشيلى بينوشيه، والصين ماو، وأنظمة أخرى. (أخبرتنى نيان تشينج ، مؤلفة كتاب «الحياة والموت في شنغهاي» ، أنها بالكاد تصدق أن شخصا غير صينى - شخصا لم يختبر الثورة الثقافية - قد كتب المسرحية.) ولكن تحت مخاوفها بشأن العدالة تثير المسرحية خلطة قاتلة من الجنس غير المشروع، والخوف من التلاعب الخارق للطبيعة، والتلاعب السياسي، وهو مزيج لم يكن غير مألوف تلك الأيام. الفيلم، من خلال الوصول إلى الجمهور الأميركى العريض كما لا تستطيع أي مسرحية على الإطلاق، قد يكشف عن روابط أخرى للرعب العام المدفون الذى أعلنته سالم لأول مرة في هذه القارة.

بقى شيء واحد. شيء رائع بالمعنى القديم لتلك الكلمة. أتذكر الأسابيع التى قضيتها فى قراءة الشهادة من خلال الكتابات والتعليقات والتعليقات والاعترافات والاتهامات. ودائما ما كان الحدث الملعون الحاسم هو التوقيع على اسم المرء فى «كتاب الشيطان». كانت اتفاقية فاوست هذه لتسليم روح المرء إلى سيد الظلام المخيف إهانة قصوى للرب. ولكن ما الذي كان من المفترض أن يفعله هؤلاء المجندون الجدد بمجرد توقيعهم؟ لا يبدو أن أحداً قد فكر فى السؤال. لكن، بطبيعة الحال، الأفعال غير منطقية أثناء الحروب الثقافية والدينية كما هي في الكوابيس. الشيء موضوع الخلاف هو النوايا المدفونة، الولاءات السرية للقلب المتفرد، التى كانت دائما التهديد الرئيسى للعقل الكهنوتى ومعقله الأزلى.

ذاكرة

مبدعــون يكتبــون التاريخ الأسود للبيت الأبيــض..

مها محفوض محمد

لا يختلف اثنان على أن البيت الأبيض مقر الرئاسة أو الإدارة الأميركية لايحمل من اسمه شيئاً في السلوك الدبلوماسي والإنساني، بل يكاد يكون البيت الأسود، تاريخه ليس نظيفاً ولايمكن أن يكون كذلك، عبر خمسة قرون من تاريخ القتل والإبادة التي تمارسها الإدارات الأميركية المتلاحقة، لم يصمت الكتاب والمفكرون حول ذلك، فكيف يبدو البيت الأبيض فعيون بعض المبدعين، في هذا المقال الاستعادي نجد الكثير

يقول جون ستوفر أستاذ الأدب الأميركي:

(إن التاريخ العرقي للبيت الأبيض يمثل رمزاً دالاً على التاريخ العرقي للأمة الأميركية)

واليوم مع دخول أول رئيس أسود إلى البيت الأبيض كان الحدث رمزاً قوياً توقف عنده الكثيرون، حتى أوباما نفسه قال خلال حملته الانتخابية: إنه يتخيل من وقت لآخر كيف ستلعب ابنتاه على المرج الأخضر الواسع في هذا الصرح الكبير والذي بني بجزئه الأكبر بسواعد العبيد، وكان جون ماكين عند اعترافه بهزيمته في تشرين الثاني ٢٠٠٨ وأثناء خطابه قد تذكر الرئيس تيودور روزفلت عندما دعا في العام ١٩٠١ الكاتب الأسود ت. بوكر المدافع عن حقوق الزنوج الأميركيين كيف ضجت الصحف في اليوم التالي ووصفت ذلك بأنه أسوأ فضيحة على الإطلاق، ألا وهي دعوة زنجي ليجلس إلى طاولة مواطن أميركي أبيض.

بعد هذا الحدث بثلاث سنوات كتب الرئيس الديمقراطي غروفر كيلفلاند رسالة إلى مجلس الشيوخ يقول فيها: إنه لا يمكن أن يقدم على فعل مشابه، وكما يعلم الجميع فإن البيت الأبيض هو المقر الرسمي لرئيس الولايات المتحدة الأميركية منذ جون آدامز خليفة جورج واشنطن الذي أقام في البيت الأبيض في الأول من تشرين الثاني عام ١٨٠٠ وبقي هذا المقر الضخم (الكلاسيكي الحديث) ممنوعاً على السود ما عدا الخدم العبيد الذي كانوا يعملون في خدمة الرئيس وزوجته حتى عام ١٨٥٠ أي إلى زمن الرئيس زاكاري تايلور حيث كان معظم الخدم من العبيد وكانوا يقيمون في قسم مخصص لهم في الطابق الأول لا يختلطون بأحد، وأول شخصية سوداء مهمة تدعى إلى المنزل الرئاسي كانت فريدريك دوغلاس في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حيث التقي ابراهام لينكولن.

دوغلاس هذا الذي أصبح كاتباً شهيراً وقائداً لحركة تطالب بالعدالة وإلغاء العبودية وتحرر المرأة دعي ثلاث مرات إلى البيت الأبيض، إلا أن المقابلة الأخيرة له كادت ألا تحصل، حيث كان الموعد يوم الاحتفال بإعادة تنصيب الرئيس، فاعترض الحرس دوغلاس وكادوا أن يطردوه لولا تدخل الرئيس شخصياً.

عقود من الزمن بعد هذا الحدث لم يشهد البيت الأبيض دخول أسود إليه سوى مطربتين شهيرتين هما سيليكا وليامز وسيسيرتا جونز، لكن أي منهما لم تدع إلى مائدة العشاء.

وبعد مرور أكثر من قرن على تدشين البيت الأبيض تطالب مديرة المكتب الخاص للرئيس ويلسون (١٩١٣ - ١٩٢١) بعدم اختلاط الموظفين السود مع البيض في البيت الأبيض، وألا يأكلوا معاً ولا يجلسوا سوية، بالمقابل قامت ايلينور روزفلت بتسريح الخدم البيض وأمرت أن يكون جميع الخدم من السود.

بعد الحرب واستقلال العديد من الدول، تبدل المسرح الدبلوماسي في واشنطن، وأصبح عدد من رؤساء الدول وموظفي السفارات يزورون البيت الأبيض ويتناولون الطعام فيه، بل حتى يقضون الليل، وبدءاً من أعوام الستينيات دخل السود في الكونغرس، وفي الطواقم الحكومية، وبدؤوا يرتادون المكتب البيضاوي حيث يجلس الرئيس، والجميع يذكر كيف أجهشت سارة فوكهان بالبكاء عندما خصصت لها غرفة في البيت الأبيض في حزيران ١٩٦٥ وأثناء نحيبها أمام الرئيس جونسون راحت مغنية الجاز الشهيرة تفسر سبب البكاء بالقول: إنها قبل عشرين عاماً لم يكن يسمح لها بالإقامة حتى في أحد فنادق واشنطن، وفي عام ١٩٧٣ وحسب نيويورك تايمز كان الفنان سامي ديفيس أول مدعو من أصل إفريقي يبيت ليلته في البيت الأبيض وقال فيما بعد وعلى سبيل النكتة: إنه رفض النوم في غرفة الرئيس لنكولن الذي حرر العبيد، لكن ليس لدرجة أنهم سينامون في سريره.

آخر مثال على كسر هذا الحاجز هو تعيين امرأة سوداء تدعى ديزيه روجرز مديرة لشؤون الاستقبال والإقامة في البيت الأبيض، وبالطبع كانت تلك المرة الأولى التي تحتل فيها أميركية من أصل إفريقي هذا المنصب..

كل ما جرى من محاولات لتنظيف هذا السلوك وغسله، لا معنى له، فالواقع يقول غير ما يفعله الإعلام الاميركي، إنه البيت الأبيض بالسلوك الأسود.

مازن مبارك..المستقبل للغة العربية

فاتن أحمد دعبول

انتزع الكثير من الألقاب واستحقها بجدارة، نظراً لتعلقه باللغة العربية والعمل على حفظها وصونها من اللحن والتشويه، فكان فارسها وحصنها المنيع، وكان أمة في رجل، وكان المدافع الأكثر قوة وفصاحة، فقد جمعت مقالاته أطياف العربية وعلومها وآدابها وفنونها وتاريخها وحضارتها.

ومن أقواله» اللغة صفة الأمة في الفرد، وآية الانتساب إلى القوم، فمن أضاع لغته، فقد نسبه وأضاع تاريخه» كلمات ذهبية يعبّر بها الأديب اللغوي مازن المبارك عن حبّه للغة العربية واعتزازه بها ورفعه لرايتها ودفاعه عنها أينما كانت.

وهو إلى جانب إحاطته بالنحو والصرف والإعراب والمعاجم وفقه اللغة وعلم الجمال وفنون الأدب وبراعة البلاغة وضوابط الإملاء وأصول الخط، فإنه مبدع في الأدب والنقد والتاريخ والتفسير والتربية، ويكتب في موسميات واجتماعيات وفكر وحضارة وثقافة وفلسفة، ويعرب المصطلحات ويترجم لشخصيات قديمة وحديثة ومعاصرة، ويعرف بمناهجهم ومؤلفاتهم ويناقش أفكارهم، ويشرح أهدافهم ويقتدي بهم وينسج على منوالهم، إنه حقاً رجل في رجال، فقد جمع الله له المجد من أطرافه» علو في النسب، وجمال في الأدب، غزارة في العلم، وفصاحة في اللسان».

يقترن الدكتور مازن المبارك في ذاكرتي بالسنة الأولى في قسم اللغة العربية وقد كنت طالبة حديثة العهد في كلية الآداب، وكان استاذي القدير الذي يستطيع بأسلوبه الماتع أن يجعل الطلاب جميعهم يؤخذون بطريقته المبسطة في شرح قواعد النحو والإعراب، لتستقر المعلومة في ذاكرتنا وتصبح عصية على النسيان.

كان حديثه يجمع بين الفائدة والمتعة على نحو عجيب، فبينما تراه يدفع عن لغتنا ما لحق بها من أذى ويذود عنها ذود الفارس الهصور، إذا هو يطرفك بأرق النوادر ويسمعك أعذب الأحاديث والخواطر ويضفي على الحصة الدراسية المزيد من المرح، فكنا لا نمل درسه، بل يمضي الوقت سريعاً، وكنا نحرص أشد الحرص على المثابرة على دروسه الغنية والممتعة.

سيرة علم ومعرفة

ولد الدكتور مازن المبارك في دمشق سنة ١٩٣٠، ونشأ في أسرة علم ونسب شريف، فوالده الأستاذ عبد القادر المبارك، وهو عالم كبير ولغوي ثقة، تلقى الكثير من المعارف اللغوية والأدبية والدينية على شيوخ عصره، كالشيخ أمين سويد، والشيخ بدر الدين الحسني، والشيخ عطا الكسم، وكان الأستاذ المبارك راوية، حافظاً لكتب الأخبار والتراجم والتاريخ، والأستاذ محمد المبارك الشقيق الأكبر للدكتور مازن أيضاً هو عالم لغوي ومرب معروف.

فالبيئة التي نشأ فيها الدكتور مازن المبارك بيئة علمية، كانت تهتم باللغة العربية اهتماماً واسعاً، لذلك نشأ على حبها وتشربها منذ نعومة أظفاره.

لأجل ذلك امتاز بثقافة واسعة، وانكباب على العلم والتعليم والتصدي للتأليف، وقد جمع بين ما تلقاه من أسرته وبيئته، وما حصله من تخرجه في مستويات التعليم المنظم حتى اجتمع له ما لا يجتمع لأقرانه.

ويعد الدكتور العلامة مازن المبارك أحد أوعية العلم بالعربية وعلومها في زماننا، نهل من أبيه وأخيه، ثم أخذ العربية عن أكابر أربابها في الشام ومصر، فقد تتلمذ لشاعر الشام الكبير محمد البزم وشيخ نحاة العصر سعيد الأفغاني، كما انتفع بأساطين العربية المؤسسين لقسمها في جامعة دمشق، أمثال د. أمجد الطرابلسي والشاعر الأديب شفيق جبري وعز الدين التنوخي والشيخ بهجة البيطار.

ثم ارتحل في طلب العلم إلى مصر، فصحب نخبة من علمائها من أمثال عميد الأدب العربي د. طه حسين، وسشيخ مؤرخي الأدب الدكتور شوقي ضيف، والأستاذ مصطفى السقا، كما أفاد من مجالس شيخ العربية الكبير وفارسها محمود شاكر وغيرهم كثير، ليعود إلى جامعة دمشق أستاذاً للنحو وتاريخه وأصوله والبلاغة وتاريخها.

تنقل في غير جامعة في دول عربية متعددة، بدءاً من جامعة دمشق ومروراً بجامعة الملك عبد العزيز في الرياض، والجامعة اللبنانية ببيروت، وجامعة قطر التي رأس قسم اللغة العربية فيها، ومعهد اللغة العربية بالجزائر، وكلية الدعوة في ليبيا، وانتهاء بكلية الدراسات العربية والإسلامية بدبي التي رأس فيها قسم اللغة العربية أيضا، ثم عاد إلى الشام من جديد ليشرف على الدراسات العليا بقسم التخصص بمعهد الفتح الإسلامي، وليتوج رحلة عطائه الغنية بانتخابه عضواً في مجمع اللغة العربية بدمشق.

وللإنصاف لابدّ أن نذكر أن عمله لم يقتصر على المعاهد والجامعات، بل امتد إلى المساجد والمراكز الثقافية والبيوتات، فهو لا يدع باباً يمكن أن يرفع فيه للعربية راية إلا طرقه، لقد جاهد في سبيلها حق الجهاد، ونافح عنها حق المنافحة، وآل على نفسه أن يبث محبتها والوعي بها وبأهميتها حيثما حل وارتحل، إنها همّه وقضيته التي يحيا لها، وقضى جل حياته دفاعاً عنها.

مؤلفاته ودراساته

ومن يبحث في آثار الدكتور المبارك يدرك أهمية ما أنتجه من بحوث ودراسات وتراجم، فقد رفد المكتبة العربية ببحوثه وكتبه، وقدّم لها أجمل وأبدع ما يمكن أن يقدّمه ابن بار للغته وأمته، على أن أجلّ ما صنعه تلك الروح التي نفخها في كتبه، وبثها في مقالاته، ولقنها طلابه وتلامذته وقراءه» أعني حب العربية» والذود عنها، وإعلاء شأنها، ونشر أطايبها وروائعها، وتحبيب الناس بها.

أما مؤهلاته العلمية فهي الإجازة في الآداب من جامعة دمشق

الماجستير في الآداب من جامعة القاهرة في العام ١٩٧٥

دكتوراه في الآداب من جامعة القاهرة ١٩٦٠

وشغل الدكتور مازن المبارك العديد من المناصب منها مدرس في كلية الآداب بجامعة دمشق للعام ١٩٦٠

وأستاذ مساعد في كلية الآداب جامعة دمشق ١٩٦٦.

مدير مدرسة تعليم الأجانب اللغة العربية بجامعة دمشق منذ تأسيسها حتى عام ١٩٦٥.

وشارك في وضع الأنموذج المقترح لخطة تدريس اللغة العربية وآدابها في الدرجة الجامعية الأولى في الوطن العربي، المركز العربي لبحوث التعليم العلي بدمشق، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٨٦.

وهو الآن عضو في مجمع اللغة العربية بدمشق.

وشغل خارج سورية مناصب في غير جامعة، منها مدرس في جامعة الرياض بالسعودية، وأستاذ في الجامعة اللبنانية ورئيس قسم اللغة العربية في جامعة قطر، والمسؤول الثقافي بالجامعة، وأمين سر مجلس كلية الإنسانيات وعضو الجامعة بقطر للعام ١٩٧٤ - ١٩٨١، وأستاذ زائر في جامعة وهران بالجزائر ١٩٨٤.

هذا إلى جانب مشاركته في عدد كبير من الندوات والمؤتمرات المختصة باللغة العربية في دمشق وبيروت والجزائر والكويت وبغداد وقطر والبندقية» إيطاليا».

أما آثاره العلمية فمنها الكتب والمقالات، ومن كتبه:

الزجاجي، حياته وآثاره ومذهبه النحوي.

مجتمع الهمذاني من خلال مقاماته، طبع مجمع اللغة العربية بدمشق

الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه، طبع الجامعة السورية بدمشق

النحو العربي، بحث في نشأة النحو وتاريخ العلة النحوية، طبع المكتبة الحديثة بدمشق.

نظرات وآراء في اللغة وعلومها.

المحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسني.

أخلاق دمشق هذه سبيلي.

وغيرها كثير من الكتب المحققة من مثل مغني اللبيب لابن هشام، كتاب اللامات للزجاجي، المقتضب لابن جني، أشهر الأمثال للشيخ طاهر الجزائري.

ويضاف إلى ذلك مشاركاته في المؤتمرات والندوات المتخصصة بعلوم اللغة العربية، من مثل» مؤتمر تعريب التعليم العالي بدعوة من جامعة بغداد ١٩٧٨، والحوار العربي الأوروبي بدعوة من الجامعة العربية البندقية ١٩٧٧، والكثير غيرها في المراكز الثقافية ومجمع اللغة العربية.

وصيته .. حب العربية

وفي واحدة من توصياته لأبناء جلدته يقول: « والله أنا أوجه نحو حب العربية، وتنشئة الأولاد على حب العربية، فهي الرابطة إلى التاريخ العربي، وهي الجسر إلى الكتاب الديني، فلا قرآن بلا عربية، ولا فهم للإسلام بلا عربية، ولا اتصال بالعرب إلا عن طريق العربية، ومتى ضاعت، ضاع مستقبل الأبناء..»

ويضيف» أنا لست أسرف في التفاؤل، ولكنني متفائل مع شيء من الحذر، وضرورة البقاء في حالة وعي وفطنة لما يكتب لهذه الأمة وللغتها، ولا أرى داعيا للتشاؤم ولا القنوط، فالأمة في حالة صحوة والحمد لله، والكثيرون يؤمنون أن المستقبل لهذه اللغة.

شاعر وقصيدة

أحمد شوقي : بني سورية

ولد أحمد شوقي بحي الحنفي بالقاهرة في ١٦ تشرين الأول ١٨٦٨، وكانت جدته لأمه تعمل وصيفة في قصر الخديوي إسماعيل، وعلى جانب من الغنى والثراء، فتكفلت بتربية حفيدها ونشأ معها في القصر. لما بلغ الرابعة من عمره التحق بكُتّاب الشيخ صالح، فحفظ قدرًا من القرآن وتعلّم مبادئ القراءة والكتابة، ثم التحق بمدرسة المبتديان الابتدائية، وأظهر فيها نبوغًا واضحًا كوفئ عليه بإعفائه من مصروفات المدرسة، وانكب على دواوين فحول الشعراء حفظًا واستظهارًا، فبدأ الشعر يجري على لسانه. حين بلوغه سن الخامسة عشرة التحق بمدرسة الحقوق، وذلك سنة (١٣٠٣هـ/١٨٨٥م)، وانتسب إلى قسم الترجمة الذي كان قد أنشئ بها حديثًا، وفي هذه الفترة بدأت موهبته الشعرية تلفت نظر أستاذه الشيخ محمد البسيوني، ورأى فيه مشروع شاعر كبير.

بعد ذلك سافر إلى فرنسا على نفقة الخديوي توفيق، وقد حسمت تلك الرحلة الدراسية الأولى منطلقات شوقي الفكرية والإبداعية، وخلالها اشترك مع زملاء البعثة في تكوين (جمعية التقدم المصري)، التي كانت أحد أشكال العمل الوطني ضد الاحتلال الإنجليزي. وربطته حينئذ صداقة حميمة بالزعيم مصطفى كامل، وتفتّح على مشروعات النهضة المصرية.

وقد نفى الإنجليز الشاعر إلى إسبانيا عام ١٩١٥، وفي هذا النفي اطلع أحمد شوقي على الأدب العربي والحضارة الأندلسية هذا إضافة إلى قدرته التي تكونت في استخدام عدة لغات والاطلاع على الآداب الأوروبية، وكان أحمد شوقي في هذه الفترة على علم بالأوضاع التي تجري في مصر، فأصبح يشارك في الشعر من خلال اهتمامه بالتحركات الشعبية والوطنية الساعية للتحرير عن بعد وما يبث شعره من مشاعر الحزن على نفيه من مصر، وعلى هذا الأساس وجد توجه آخر في شعر أحمد شوقي بعيداً عن المدح الذي التزم به قبل النفي. عاد شوقي إلى مصر سنة ١٩٢٠.

في عام ١٩٢٧، بايع شعراء العرب كافة شوقي أميراً للشعر، وبعد تلك الفترة تفرغ شوقي للمسرح الشعري حيث يعد الرائد الأول في هذا المجال عربياً؛ ومن مسرحياته الشعرية مصرع كليوباترا وقمبيز ومجنون ليلى وعلي بك الكبير.

وهو المعروف بحبه لسورية وله فيها الكثير من القصائد، من منا لايردد سلام من صبا بردى ؟

اليوم نقدم قصيدته في رثاء البطل يوسف العظمة بمناسبة مرور ١٠٢ سنة على ملحمة البطل يوسف العظمة ومعركة ميسلون

بني سورية

حَياةٌ ما نُريدُ لَها زِيالا
وَدُنيا لا نَوَدُّ لَها انتِقالا
وَعَيشٌ في أُصولِ المَوتِ سَمٌّ
عُصارَتُهُ وَإِن بَسَطَ الظِلالا
وَأَيّامٌ تَطيرُ بِنا سَحاباً
وَإِن خيلَت تَدُبُّ بِنا نِمالا
نُريها في الضَميرِ هَوىً وَحُبّاً
وَنُسمِعُها التَبرُّمَ وَالمَلالا
قِصارٌ حينَ نَجري اللَهوَ فيها
طِوالٌ حينَ نَقطَعُها فِعالا
وَلَم تَضُقِ الحَياةُ بِنا وَلَكِن
زِحامُ السوءِ ضَيَّقَها مَجالا
وَلَم تَقتُل بِراحَتِها بَنيها
وَلَكِن سابَقوا المَوتَ اقتِتالا
وَلَو زادَ الحَياةَ الناسُ سَعياً
وَإِخلاصاً لَزادَتهُم جَمالا
كَأَنَّ اللَهَ إِذ قَسَمَ المَعالي
لِأَهلِ الواجِبِ ادَّخَرَ الكَمالا

تَرى جِدّاً وَلَستَ تَرى عَلَيهِم
وُلوعاً بِالصَغائِرِ وَاشتِغالا
وَلَيسوا أَرغَدَ الأَحياءِ عَيشاً
وَلَكِن أَنعَمَ الأَحياءِ بالا

إِذا فَعَلوا فَخَيرُ الناسِ فِعلاً
وَإِن قالوا فَأَكرَمُهُم مَقالا
وَإِن سَأَلَتهُمو الأَوطانُ أَعطَوا
دَماً حُرّاً وَأَبناءً وَمالا
بَني البَلَدِ الشَقيقِ عَزاءَ جارٍ
أَهابَ بِدَمعِهِ شَجَنٌ فَسالا
قَضى بِالأَمسِ لِلأَبطالِ حَقّاً
وَأَضحى اليَومَ بِالشُهَداءِ غالي
يُعَظِّمُ كُلَّ جُهدٍ عَبقَرِيّ
أَكانَ السِلمَ أَم كانَ القِتالا
وَما زِلنا إِذا دَهَتِ الرَزايا
كَأَرحَمِ ما يَكونُ البَيتُ آلا
وَقَد أَنسى الإِساءَةَ مِن حَسودٍ
وَلا أَنسى الصَنيعَةَ وَالفِعالا
ذَكَرتُ المِهرَجانَ وَقَد تَجَلّى
وَوَفدَ المَشرِقَينِ وَقَد تَوالى
وَداري بَينَ أَعراسِ القَوافي
وَقَد جُلِيَت سَماءً لا تُعالى
تَسَلَّلَ في الزِحامِ إِلَيَّ نِضوٌ
مِنَ الأَحرارِ تَحسَبُهُ خَيالا
رَسولُ الصابِرينَ أَلَمَّ وَهناً
وَبَلَّغَني التَحِيَّةَ وَالسُؤالا
دَنا مِنّي فَناوَلَني كِتاباً
أَحَسَّتِ راحَتايَ لَهُ جَلالا
وَجَدتُ دَمَ الأُسودِ عَلَيهِ مِسكاً
وَكانَ الأَصلُ في المِسكِ الغَزالا
كَأَنَّ أَسامِيَ الأَبطالِ فيهِ
حَوامٌ عَلى رِقٍّ تَتالى
رُواةُ قَصائِدي قَد رَتَّلوها
وَغَنّوها الأَسِنَّةَ وَالنِصالا
إِذا رَكَزوا القَنا انتَقَلوا إِلَيها
فَكانَت في الخِيامِ لَهُم نِقالا
بَني سورِيَةَ التَئِموا كَيَومٍ
خَرَجتُم تَطلُبونَ بِهِ النِزالا
سَلوا الحُرِيَّةَ الزَهراءَ عَنّا
وَعَنكُم هَل أَذاقَتنا الوِصالا
وَهَل نِلنا كِلانا اليَومَ إِلا
عَراقيبَ المَواعِدِ وَالمِطالا
عَرَفتُم مَهرَها فَمَهَرتُموها دَماً
صَبَغَ السَباسِبَ وَالدِغالا
وَقُمتُم دونَها حَتّى خَضَبتُم
هَوادِجَها الشَريفَةَ وَالحِجالا
دَعوا في الناسِ مَفتوناً جَباناً
يَقولُ الحَربُ قَد كانَت وَبالا
أَيُطلَبُ حَقَّهُم بِالروحِ قَومٌ
فَتَسمَعُ قائِلاً رَكِبوا الضَلالا
وَكونوا حائِطاً لا صَدعَ فيهِ
وَصَفّاً لا يُرَقِّعُ بِالكَسالى
وَعيشوا في ظِلالِ السِلمِ كَدّاً
فَلَيسَ السِلمُ عَجزاً وَاتِّكالا
وَلَكِن أَبعَدَ اليَومَينِ مَرمىً
وَخَيرَهُما لَكُم نُصحاً وَآلا
وَلَيسَ الحَربُ مَركَبَ كُلِّ يَومٍ
وَلا الدَمُ كُلَّ آونَةٍ حَلالا
سَأَذكُرُ ما حَييتُ جِدارَ قَبرٍ
بِظاهِرِ جِلَّقَ رَكِبَ الرِمالا
مُقيمٌ ما أَقامَت مَيسَلونٌ
يَذكُرُ مَصرَعَ الأُسُدِ الشِبالا
لَقَد أَوحى إِلَيَّ بِما شَجاني
كَما توحي القُبورُ إِلى الثُكالى
تَغَيَّبَ عَظمَةُ العَظَماتِ فيهِ
وَأَوَّلُ سَيِّدٍ لَقِيَ النِبالا
كَأَنَّ بُناتَهُ رَفَعوا مَناراً
مِنَ الإِخلاصِ أَو نَصَبوا مِثالا
سِراجُ الحَقِّ في ثَبَجِ الصَحارى
تَهابُ العاصِفاتُ لَهُ ذُبالا
تَرى نورَ العَقيدَةِ في ثَراهُ
وَتَنشَقُ في جَوانِبِهِ الخِلالا
مَشى وَمَشَت فَيالَقُ مِن فَرَنسا
تَجُرُّ مَطارِفَ الظَفَرِ اختِيالا
مَلَأنَ الجَوَّ أَسلِحَةً خِفاقاً
وَوَجهَ الأَرضِ أَسلِحَةً ثِقالا
وَأَرسَلنَ الرِياحَ عَلَيهِ ناراً
فَما حَفَلَ الجَنوبُ وَلا الشَمالا
سَلوهُ هَل تَرَجَّلَ في هُبوبٍ
مِنَ النيرانِ أَرجَلَتِ الجِبالا
أَقامَ نَهارَهُ يُلقي وَيَلقى
فَلَمّا زالَ قُرصُ الشَمسِ زالا
وَصاحَ نَرى بِهِ قَيدَ المَنايا
وَلَستَ تَرى الشَكيمَ وَلا الشِكالا
فَكُفِّنَ بِالصَوارِمِ وَالعَوالي
وَغُيِّبَ حَيثُ جالَ وَحَيثُ صالا
إِذا مَرَّت بِهِ الأَجيالُ تَترى
سَمِعتَ لَها أَزيزاً وَابتِهالا
تَعَلَّقَ في ضَمائِرِهِم صَليباً
وَحَلَّقَ في سَرائِرِهِم هِلالا